آخر البوح

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني: E-mail **unecriv@net.sy**
aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت
http://www.awu-dam.org

الإخراج الفني: وفاء الساطي
تصميم الغلاف: عبد الله كلثوم

فادية غيبور

آخر البوح

منشورات اتحاد الكتاب العرب
دمشق

سلسلة الشعر (12)
2012

كلمات

إلى وجوه الأصدقاء المزروعة

زيتوناً ونخيلاً وقمحاً

على أبواب المدن المستباة

في شرق الوطن وجنوبه و..

و.. أولى الكلمات وآخر

البوح..

فاديا

هزّ قلبي برفقٍ أيُّهذا الورقْ.
إنني وردةُ الحزن منذ ابتدأتُ
وهذا خريفي..
كيف لي أن أمُدَّ الحنينَ سطوراً..
لتزهرَ فوق السطور
بقيةُ شعرٍ تجيءُ إذا ما أتيتَ
بنصفِ الألقْ
فأمضي لأشرع روحي حنيناً قديماً
وأنثرها نفحةً.. نفحةً
في جهاتِ العبقْ.

احتمـالاتُ الجنــون

على شرفةٍ من رفيفِ اليمامِ..
سأنثرُ قمحَ حروفي
أحاولُ وعداً صغيراً يهدِّئُ بالَ القصيدةْ
ويمنحُها فسحةً من صفاءٍ أخيرٍ
ويمنحُ قلبي ظلالَ أمانٍ..
بأن زماناً يجيءُ سيُصبِحُ أجملْ..
وأن "بحاراً تناءتْ عن العينِ في البال
أبهى وأجملْ"
وأن رفوفاً من القبّرات ستهطلُ - لا بدَّ - يوماً عليّ

تُنَمْنِمُ أحلامَ قلبي الصغيرةَ

حتى.. نهاياتِ نثري وشعري..

أرتِّبُ وزرَ القصيدة عمراً

وعمراً أرتّب أوزار عمري..

وأعلمُ.. ثَمَّ فضاءٌ رحيبٌ

لأقواسِ وردٍ وشعرٍ

تمدُّ أزاهيرَها فوق صدرِ الصباحْ..

وثمَّ قصيدةُ حبٍّ قديمٍ

تذرّي الرِّياحُ تفاصيلَها في مهبِّ الرمادْ..

وفي كلّ وادْ

أخبّئُ بعضَ جموحِ القصيدةِ كي لا يقالَ:

ـ كَبُرْتِ على نصفِ هذا الجنونِ..

كبرتِ على خفقةٍ تعتري القلبَ

ما عاد يذكرُ كيفَ تلبَّسَ بالعشقِ

منذُ انهمارِ الحروفِ على شفتيكِ

وما كانَ ثمَّ اختيارٌ

فكلُّ الجهاتِ إلى الشعرِ تمضي..

وكلّ القصائدِ تغفو وتنهضُ موّارةً

بالرؤى والجنونْ..

فليسَتْ تكونُ.. ولسْتُ أكونْ

إذا لم أبللْ تفاصيلَ أسفارِها باخضرارِ وريدي

وأنداءِ قلبي

وليست تكونُ ولسْتُ أكونْ

إذا الحبّ والشعر ضجّا بصدري

ولست ألبِّي.

* * * * *

أنا الآن وحدي..

ألملمُ ما ضاعَ من نبضاتِ دمي

في خرابِ الحضارةِ..

حيث الوجوهُ الكئيبةُ تركضُ بين الوجوهِ
وحيث الجهاتُ تضجُّ
بما يتخلّقُ فوق الوجوهِ من الأمنياتْ
رغيفَ حنانٍ لطفلٍ
وثوباً جديداً لعيدٍ وأغنيّةً للصغارْ..
ولا شيءَ أكثرُ... لا شيءَ أكثرْ..
أنا الآن حيرى.. أعود إليّ
أضمّ ارتعاشَ البراري
غناءَ الرُّعاةِ
ترابَ البيوتِ القديمةْ
وأركضُ خلفَ الفراشاتِ..
أركضُ.. أذكرُ وجهَ حبيبي البعيدِ فأمضي إليه..
أشاركُهُ حلمَه المستحيلَ
وقهوَتَهُ المرّةَ المشتهاةَ..
ترانيمَ فيروزَ منذُ تبعثرَ

بينَ فصولِ الحكايةِ والثلجِ "شادي"
وما زالَ شادي صغيراً بعيداً
وعيناهُ لمّا تزالا تطلانِ بين مرايا الثلوجِ
ربيعَ حنانٍ حزيناً.. حزينْ
يمرُّ ببالِ المواويلِ والأغنياتِ الشفيفةِ
حتى اخضرارِ البكاءْ..
ولا شيءَ فيما أراهُ سوى الحلمِ....
لاشيء إلا..
سقوطُ المدائنِ في حمأةِ الخوفِ والدمِ والموتِ
لا شيءَ إلا الضياعُ الجديدْ
فمن ذا الـ ينادي..
ومن ذا الـ يلبي؟!..

*****

أقمْتُ على هامشِ الوجدِ خمسينَ بوحاً
ترحّلتُ في مطلعِ الشعرِ حتى التغرُّبِ
بين البسيطِ وبين الطويلِ
وبين السريعِ... الخفيفِ الـ ..
وكم مرةٍ راودتْني الهمومُ فناورتُها
بادّعاء البلاغةِ أو بافتعالِ الغباءِ
وأجّلت جرحي إلى يومِ ميلادِهِ الخارجيِّ
تعثرْتُ في رحلةِ القلبِ نحو رؤاهُ العصيةِ
حتى تساقطتُ بين الوريدِ وبين الوريدْ
فأشرقَ فيَّ جنونُ الأيائلِ
شوقُ القطا للرحيلِ
احتراقُ الفراشاتِ في حومةِ الضوءِ
أجّلتُ جرحي إلى يومِ ميلادِهِ الخارجيِّ
ولملمْتُ دمعَ الحروفِ
استحالَ كلاماً جميلاً على شفَةِ القلبِ

ناديتُ : ياقلبُ مهلاً..
ودعْني أضمَّ إليّ دمائي المراقةَ
بين الحدودِ.. وبينَ الحدودْ..
تلفّتُ نحوي
وناديتُ : يا كلّ هذي المدائنِ ؛
يا باسقاتِ الدماءِ.. الغناءِ.. البكاءْ
أغيثي دمي ببريقِ ابتسامةِ طفلٍ
أضيئي رمادَ حروفي بنصفِ اشتعالٍ
فقد أهتدي مرّةً لحريقِ القصيدةِ
أو.. أبتدي طقسَها المتأرجحَ
بينَ احتمالِ الجنونِ و ..
بينَ احتمالِ الجنونْ.

صمود غزة

لغزَّةَ في الصباحاتِ الحزينةِ
أنْ تلُمَّ جراحَها
وكأنّها العنقاءُ تُبْعَثُ كلّ يومٍ
من رمادِ حريقِها
فتلوِّنُ الشفقَ الأخيرَ بألفِ حقلٍ قادمٍ
من زعفرانِ الأرضِ
تصنَعُ من رؤاهُ رواءَها

*****

هي غزَّةُ الشهداءِ تولدُ من بدايةِ رملِها

حتى تخاصِرَ ماءها

وتصوغُ من مطرِ الشهادةِ

عطرَها وبهاءها

تهَبُ السماءَ رجاءها

ترنو إلى الأشلاء ..تنهضُ

تستعيدُ دماءَها

أطفالُها الآتونَ لن يتعثروا

بين الحليبِ وبين صوتِ البندقيهْ

لن يذرفوا دمعاً إذا سقط الرجال السمرُ

صبحَ الأغنياتِ وفي العشيهْ

هي هزّةُ الأكوانِ منذ توضّأتْ بالصخرِ

بالدم.. بالعذاباتِ النبيّهْ

هي غزةُ الأبطالِ والشهداءِ والفقراءِ

مذ عبروا على جسرِ الضياءِ

وآمنوا أنّ الحياةَ

هيَ القضيهْ!..

*****

هي غزَّةُ التاريخِ مُذْ كانتْ

تصوغُ رواءها

فاقرأْ على أبوابِها آياتِ نصرٍ قادمٍ

من صرخةِ امرأةٍ تودِّعُ طفلَها

أو من هديلِ حمامةٍ رفضَتْ تكونُ سبيةً

فمضَتْ تقاتلُ كي يظلَّ جناحُها فوقَ السّحابْ

فهي الأسيرةُ.. والطليقةُ... والأبيهْ

وهي الصباحُ المُرتجى

رغمَ الحرائقِ والمعابرِ

والعذاباتِ العصيّهْ.

هي غزَّةُ السمراءُ..

تنهضُ من رمادِ القصفِ
شامخةً بوجهِ الموتِ
كي تُردي جنونَ العنصريهْ.

قــانــا

هي " **قانا**".. صرخةٌ الوردِ على الثغرِ المحنّى
بسُلافاتِ الدماءْ
فتهَجَّ الآن إزهارَ روابيها
أفِضْ ورداً على شباكِّها العالي
وزمِّلْ ما تبقى
من ضحى أطفالِها بالكبرياءْ..
هي قانا صرخةٌ أخرى
فلا تغلقْ حدودَ الحلمِ...
إنَّ ترابَها قدسٌ وريّاها إباءْ

وإذا رتّلْتَ فجراً سورةَ الفتحِ
فسبِّحْ باسمِ هذي الأرضِ
سبّح بالفداءْ

سلامٌ على

سلامٌ على نخلةٍ في سوادِ العراقْ
سلامٌ على دمعِها في ليالي الفراقْ
سلامٌ على طفلةٍ في ظلالِ العذابْ
يُشَـدُّ على معصميها الوثاقْ
سـلامٌ على مهدِ عيسى ابنِ مريمْ
على دمِ حرٍّ هنـاكَ يُراقْ
سـلامٌ على صخرةٍ للعروجِ
تهاطَلَ منها صهيـلُ البراقْ.

عودة حنظلة

إلى الشهيد ناجي العلي

ما كان لحبرِكَ أن يتقرّى
معنى اللغةِ الأولى
أو يذرفَها فوق بياضِ اللوحةِ ظلَّكَ
هذا القادمُ من أعماقِ اللوحةِ
نحو رحيلٍ عذبٍ آخرْ

* * * *

ما كان لفرشاةِ الألوانِ ترمِّمُ وجهَكْ
أن تحفرَ في بستانِ القلبِ سواقي وجعٍ آخرْ
ما كان لجرحِكَ هذا الغائرُ حتى عظمِكَ
أنْ يتفيّأَ نصلَ الخنجرْ.
ماكان لنصلِ الخنجرِ أن يتوغّلَ في شلالِ دمائِكَ
وهي تهاطَلُ مطرَ مسراتٍ قدسيَّ الأمواهْ
ما كان لحنظلةَ الشامخِ
أن يتبرعمَ ورداً بين حروفِ الصرخةِ أو..
ترجيعِ الآهْ.
يا حنظلةُ الناجي من غربتِنا
لو أعرفُ كيفَ دخلْتَ فضاءَ الألوانِ
وأقفلْتَ الأبوابَ على عينيكَ الراحلتينِ
جَنوبَ القلبِ
فزهّرَ بين يديك الليمونْ..
واشتعلَ البرقوقُ نديّاً

بدمِ الأطفالِ على جدرانِ الأقصى
يتناثرُ عذباً... عذباً
مثلَ هديلِ حمامْ..
وافَتْكَ الرؤيا في حلمٍ أو فيما يشبهُ حلماً
وسمِعْتَ الصوت:
هذا حنظلةُ المولودُ ببرجِ الحزنِ يعودْ..
يتحرّرُ من أصفادِ يديهِ
ويفتحُ في الظلمةِ عينيهِ
ويُظْهِر وجهَهْ..
من يجرؤُ في هذا الزمنِ المائلِ
يا حنظلةَ الوجع العربيّ على أن يُظْهرَ وجْهَهْ؟!..
لكنَّ الوجهَ الحالمَ بالأعراسِ الكبرى
نادتْهُ دماءُ الأطفالِ الوارفةُ الأغصانِ بغزةْ
كي يلقاها ذاتَ إيابٍ في شُرُفاتِ العزّةْ
وتحرّرَ حنظلةُ الأيقونةِ

من نظراتِ الحزنِ.. الرفضِ.. الخوفِ..
تغيّرْ
فأدارَ الرأسَ وأعلْنَ وجهَهْ
كي تورقَ أجسادُ الأطفالِ.. الشهداءِ
وتُروى ماءَ الكوثرْ
صلّى في محرابِ القدسِ وكبّرْ

* * * *

الشاعـر

إلى الصديق الشاعر

محمد حمدان

متحدّراً.. من نارِ عاصفةٍ أتى
ومضى يهادي الأرضَ بعضَ نجومِهِ
ويقيمُ فيها بعضَ أغنيةٍ وفيض تولهٍ
حتى إذا نادتْ خطاهُ الدربُ فاتّخذ الحنينَ عباءةً
كتبَ الجفافُ حروفَهُ ثمّ انثنى
متزملاً بهديلِ زاجلةٍ تسافرُ كلما
بزغَ الكلامُ على شفاهِ العاشقينْ..
أضمومةً منْ أغنياتٍ دافئاتٍ ترتمي

مطراً ربيعياً على صدرِ البلادْ

فيلمّ أعشابَ الحنينْ..

هي ضفةٌ أخرى

فمزّق لونَ بردتِك الأخيرةِ

واحتضنْ قمراً

يغازلُ نخلةً عربيةَ الإثمارِ

مذْ كانتْ... وكان الكونُ

منْ ماءٍ وطينْ..

من أوراق الرحيل

إلى الشاعر الحاضر فينا وبيننا

محمود درويش

كنا صغاراً.. يومَ شدَّتنا الطفولة

نحو صوتِكَ

نفتديهِ بما توهّجَ في دمانا من حنينٍ

كلما حزنٌ تدفّقَ في مدى عينيكَ

شعراً مسرفاً بحريقِهِ اليوميِّ

يورقُ قبّراتٍ طاعناتٍ في الرحيلِ إلى

فضاءاتِ القصيدةْ.

كانت عصافيرُ الخليل ترفّ بينَ قلوبنا

والروحُ تسرفُ بالغناءِ..
لتستريحَ على نوافذِ حلمها اليوميِّ :
هل يأتي المسافرُ في الظهيرةِ..
كي يريحَ همومَهُ فوقَ اخضرارِ البيلسانِ
وثرثراتِ الزعترِ البريِّ يبحثُ في المدى
عن نصفِ أغنيةٍ على شفتيكَ
تحبو طفلةً أوْ تستريحْ
فتهبُّ في الشطآن ريحْ..
وتردّدُ الأمواه أغنيةً حزينةْ :
رحلَ الجميلُ الشاعرُ المولودُ من ألمٍ ومن أملٍ
ليبحثَ عن قطارٍ متعبٍ قربَ الرصيفِ
يزورُهُ صدأُ الجهاتِ
وينثني نحو المدى المفتوحِ
تعلنُه محطتُهُ الأخيرةُ ذاتَ نزفٍ

يلتقي فوقَ الرصيفِ جراحَه المتناثراتِ
يلمُّها ببريقِ "ملقطِ شعرِ كنعانيةٍ"
كانت على مرِّ الدهورِ غرامَهُ
بجبالِها وشموسِها
بترابِها وفؤوسِها
بغناء فلاحٍ حزينٍ خلفَ محراثٍ يسابقُ عمرَه
وتبوحُ في عينيه دمعتُه العنيدةُ وهو يهمسُ:
لستَ وحدَكَ..
فالتحفْ برقَ الطفولةِ في العيونِ الحالماتِ بدفترٍ
وعروسةٍ من زعترٍ
وعبيرِ زهرِ البرتقالِ يضمّ يافا..
ثمّ يرفأُ جرحَهُ..
وتنام "بروتُهُ" الحبيبةُ بين أهدابِ العيونِ
يميسُ رجعُ غنائهِ خلفَ النوافذِ..
ها هنا صلّى أبٌ

وهناك أمٌّ تبتدي ألقَ الصباح بقهوةٍ سمراءَ

سُكَّرُها الحنينُ إلى الطفولةِ والترابْ..

ولربما نامَتْ على كفَّيهِ أغنيةٌ

وموسيقى وسربٌ من عبيرٍ شاردٍ

بين الظلالِ الوارفاتِ على مساحاتِ الرحيلِ

بلا ضجيجٍ..

منْ صدى الأحلامِ فوقَ محطةٍ مهجورةٍ..

تُلقي السّلامَ على صفاءِ روحِكَ..

في الغيابِ و في الحضورِ..

وتطوفُ في الشطآن نارُكَ

تنحني شمسٌ موشاةٌ بغيمٍ قادمٍ

تنثالُ بينَ براعمِ الكلماتِ

وارفةَ الحنينِ

تحطّ برقاً واعداً بغدٍ قريبٍ..

سوف يأتي.. مسرفَ الأحلامِ

متّقدَ الجهاتِ
فينحني قمرٌ على الشباكِ منتظراً حضورَك
من غيابٍ عابرٍ..
كي يبتدي ألقَ القصيدة حين تصوغُها
ألفا قمرْ.

في حضرة رحيله

لكَ في فضاءاتِ الندى "أثرُ الفراشة"
لا يُرى
لكنه أبداً يظلُّ معرّشاً فوقَ الأصابعِ والعيونِ
وفوقَ زهرِ الياسمينْ
لك في صباحات الربيع حدائقُ الكلماتِ
تشرقُ من عبيرِ النرجسِ البريِّ
أو ألقِ الشقائقِ حينَ أحمرُها يضرِّجُ
ما تبقى من دماءٍ
في عروقِ الراحلينْ

ويؤرّجُ الكلماتِ كي ترتاحَ في جسَدِ القصيدةِ
وهي تبزغُ كلما رقصَتْ على شفةِ الصباحِ فراشةٌ
أو زهرةٌ بريّةٌ أو ضمّةٌ من زعترٍ
نهضَتْ لتسكُبَ روحَها حزناً على كتفِ الجليلْ
فلأحمدَ المنسيِّ بين فراشتينِ ووردةٍ
رقصَتْ يراعاتُ الحنينِ وكانَ أحمدُ
كالمدى
ينداحُ بين يدي قصيدتِكَ القديمةِ
كلّما اندلعَ الحصارْ
ولكَ النهارْ
ولوجهِ ريتا قبلَ عمرٍ من حنينْ
لعبيرِ قهوتِها يلوّحُ في الصباحاتِ البعيدةِ
للندى.. للشمسِ.. للأطفالِ حين يسافرونَ
إلى المدارسِ والشوارعِ والـ....مجازرِ
كان تفاحُ الخليلِ ووجهُ ريتا المستظلُّ

غيومَ صوتِكَ وهي تعبَقُ

في صباحاتِ القرى الظمأى يباغتُها الرحيلْ

وأظنُّ لم تنهِ الكلامَ

فلم تزلْ عيناك تنتظرانِ برقَ إشارةٍ

كي تنهيا نصفَ الحديثِ المشتهى

وأظنُّ وقتَكَ ما انتهى..

هل ينتهي من أشعلَ الأوقاتَ عشقاً للترابِ

وللوجوهِ وللبطولاتِ العنيدةْ ؟!..

هل ينتهي من كانَ وجهاً مشرقاً

بين امتدادِ الجرحِ من شرقِ السؤالِ إلى

نهاياتِ القصيدةْ؟!..

أو بين قافيتينِ تشتعلانِ

منذُ رسائلِ العشاقِ والأسرى

على عطشِ الدفاترِ

وانحناءاتِ الجريدةْ؟!..

ها أنت تغفو في هُنيهاتِ الظهيرةِ متعباً
متغرِّباً بين الوجوهِ النازفاتِ
أسى شفيفاً أو كثيفاً
يومَ فاجأكَ الصديقُ الموتُ قبلَ نهايةِ الأحلامِ
في الأرضِ التي كانت هواءَكَ
ماءك القدسيَّ
بل كانت دماكَ
فمنذ أعشبَتِ القصائدُ فوقَ ثغرِكَ
أبعدوكَ..
وغرّبوكَ عن التلالِ عن الحقولِ
ووجهِ ريتا والحدائقِ والصباحاتِ النحيلةْ
عن صدرِ أمك دافئاً كعبيرِ قهوتِها
وخبزِ صباحِها اليوميِّ
ينشرُ ضوعَهُ
ويغلُّ في خُصلِ الجديلةْ..

فهل استطعْتَ البعدَ عن صخرِ الجبالِ
ينام مؤتزراً بصوتكَ وهْوَ يتلو آخرَ الأورادِ
والأخبارِ والشهداءِ في المدنِ القتيلةْ؟!..
سقطَتْ مسافاتُ التغرُّبِ بين قلبِكَ والمكانِ
وبين وجهِك والتلالِ وصدرِ أمِّكَ
والمدائنِ والدماءْ..
ما زالَ وجهُك بيننا
أنت الذي أهديتَنا عبقَ الكلامِ
مساحةَ الضوءِ الوسيعةَ.. أغنياتِ القبّراتْ
ولأنت فينا نخلةُ الشعرِ المديدةُ
بين غاباتِ النخيلْ
ولأنت فينا قامةُ الأنهارِ
قاموسُ الضّياءِ المستحيلْ.
ورحلْتَ..لم تنهِ الحديثَ..
ولم تزلْ عيناكَ تنتظرانِ طيفَ إشارةٍ

لتعودَ ـ كي تنهي "السيناريو"ـ
إلى الأحبّةِ والرّفاقْ
وأظن لم تشأ الرحيلَ بلا وداعٍ
للقرى الثكلى تلوذُ بصبرها
للبروةِ الـ كانت حليبَك في "الجليل"
يا أيها الطفلُ الجميلْ
حتّامَ تسرفُ في الغيابِ
وكيف أغواكَ الرحيلْ؟!..

جنـــيـــن

لم أستطعْ أنْ أستظلَّ بهاءَها.. لكنّها
سكنَتْ مدى عمري جنينْ،
ورأيتُها ذات اقترافٍ للحنينِ.. بلِ الجنونْ..
كان الصباحُ مضرّجاً بدمائِها
كانَ الدّمارُ على مفارقِها يردّدُ آيةَ الإيمانِ
مفروشاً على آهاتِ نسوتِها
على أفواهِ أطفالٍ يضمّونَ الشّفاهَ الزرقَ يابسةً
على حلماتِ أثداءٍ تنزُّ دماً
ويوجعُها السؤالْ
كانَ المساءُ مجرّحاً

بِخُطا جنودِ الاحتلالْ
بزفيرِ دباباتِهم ، بالنارِ توقَدُ في جهاتِ سمائها ،
وتنمُّ عن شبحٍ تراءى بينَ أنقاضِ الدمارْ..
فلعلّ طفلاً شارداً تخذَ الترابَ فراشَهُ
وتلحّفَتْ أحلامُهُ غيمَ السّماءْ ،
ولعل شيخاً مايزالُ يلوبُ بينَ أنقاضِ البيوتِ
مفتّشاً عن أغنياتِ حفيدِهِ
في دفترٍ متخضبٍ بدمائهِ ،
عن نسخةِ القرآنِ مزّقَها جنودُ الاحتلالْ..
ولعلَ نائحةً تنوحُ على ذِراعِ مضرّجٍ ببهائِه
يجثو على سجادةٍ
كانتْ أصابعُه تصوغُ حنانَها مطراً
على ريشِ العصافيرِ الصغارْ
ولعلّ روحَ جنينَ
مازالتْ هناك ترِفّ هائمةً على سَغَبِ البيوتِ

تريدُ مُتّكَأً لبعضِ عذابِها..
قَصَفوا جهاتِ حضورِها..
قَصَفوا جهاتِ غيابِها..
هي ما تزالُ تردُّ نيرانَ الحصارِ بصدرِها
وبصدرِها تحنو على أترابِها..
لم أحترِقْ..
لكنَّ قلبي كانَ مذبوحاً
كسربٍ من حمامٍ شاردٍ
يأسو الجراحَ وينحني قُبَلاً على روحِ التّرابِ
المستجيرِ بغيمةٍ وعباءةٍ
من رحمةِ الأهلِ الأقاربِ والأباعدْ،
مستذكراً ألمَ النوى،
متبعثراً بين السكاكينِ اللئيمةِ
والمآتمِ والشواهدْ..
ريشٌ على دمِهِ يحطُّ رفيفُهُ

ودمٌ على ريشٍ يعاندْ،
فكأنما ذُعِرَ الحمام بساحةِ الأقصى
فطارَ إلى جنينْ،
ولربما أسرى به ليلاً
إلى الأهلِ الحنينْ،
وكأنما قلبي توقّفَ في الطريقِ
ِإلى نهايةِ شوقهِ يقفو جهاتِ الراحلينْ..
لله كم صمدَتْ جنينْ!..
لم تبتعدْ عن قلبِها،
رفَّتْ بنَبضتِه كقبرةٍ
ومدّت ريشَها لقذائفِ الدبابةِ العمياءِ
آنَ تغطرستْ..
لتصبَّ نارَ جنونِها حمَماً
تجيبُ عن احتمالاتِ السؤالِ
تضجُّ فوق شفاهِ أطفالِ المخيمِ

في عيونِ الأمهاتِ الثاكلاتِ،
وفوقَ جدرانِ البيوتِ العارياتِ
ولعبةِ الطفلِ اليتيمِ،
وثوبِ ليلى فصّلته لعيدِها الآتي،
لوجهِ محمدٍ
يختارُ أسماءً لطفلته الوليدةْ
لم تأتِ طفلتُهُ.. وما دخلَتْ أساميها
فضاءاتِ القصيدةْ..
فتعمَّدَتْ بدمِ البنفسجِ
وانثنَتْ تختالُ
نحو فضاءِ صرختِها شهيدةْ.
لم أدعُها..
لكنّها دخلَتْ إلى صدري جنينْ،
صارَتْ صباحَ أصابعي
حين الصباحُ يلفُّها

بغيومِ موسيقى وصوتٍ قادمٍ فوقَ الرياحْ :
" حاصِرْ حصارَكَ "
آه يا درويشُ كم طالَ الحصارْ!..
كم حاصرَتْني بالجنونِ أصابعي
ومضَتْ تدقُّ الصمتَ بالكلماتِ
تذرِفُها على ورقٍ دماً..
وتصيرُ في نزَقٍ دماً..
وتكادُ تبحثُ بين أُنملةٍ وأخرى
عن فَراشٍ هائمٍ،
عن بعضِ زهرِ البرتقالِ
وآيةِ النصرِ القريبةِ،
عن مفاتيحِ البيوتْ
عن وجهِ مريمَ أزهرَتْ آلامُهُ
في (بيتَ لحمٍ) أو على كتفِ الجليلْ..
ليقومَ من ثلجِ المغارةِ طفلُها

ويعيدَ ترتيبَ النبوةِ والسلامْ،
هُوَ لنْ يقولَ مجدداً: فأدرْ لهُ الخدَّ اليسارْ!..
إن المساميرَ التي شدّتْ إلى كفيهِ
آلامَ الصليبِ تناسَلَتْ
وغدَتْ حديداً مترَفاً
يغتالُ ضوءَ الفجرِ والأطفالَ والأشجارَ
في وضحِ النهارْ..
من قالَ قد سقطتْ جنينْ ؟!..
هي أسرَفَتْ في رحلةِ الحبِّ المديدةِ
للشوارعِ والبيوتْ
من قالَ قدْ سقطتْ جِنينْ ؟!
ها إنّها من بَسْملاتِ رمادِها
من نار حمّاها وأوجاعِ المآذنِ والمدارسِ
والحقولِ وشهقةِ الطفلِ الحزينْ
من أغنياتِ جذورِها
بُعثتْ جنينْ..

مدارات الشهادة والضياء

بغدادُ..يُرمِضُني الحنينُ إلى
الشوارعِ والبيوتِ إلى النخيلِ ينامُ
مبترداً على شطآن دجلةْ
ولهانَ ينثرُ روحه سرباً من الكلماتِ
تكتبها الضفافُ قصيدتينِ من الهمومْ
فإذا ألمَّ به مساءَ القصفِ جرحٌ نازفٌ
مسحَ الجراحَ ليستظلَّ حنانَ نخلةْ.
لم يلقَ ديّاراً على شطِّ الحنينِ يزورهُ
لم يلقَ غيرَ ظلالِه

إنْ مدَّ صمتُ الليلِ ظلَّه!

هل يستغيثُ ببعضِ حزنٍ

سطَّرْتهُ على الرمالِ أناملُ الأطفالِ

فاختَرقَتْ مساحاتِ الخرابِ

ولعنةَ الغزو العنيدِ؟!..

هي ما تزالُ وديعةً

وربيعُها يمتدُّ من حلمٍ إلى حلمٍ جديدِ..

صوتُ المغنّي في مرايا النهر محترقُ الصدى

يصبو إلى ليلاه في أرضِ العراقِ

وشوقُهُ يمتدُّ من أقصى الدماءِ إلى الوريدِ

حتى إذا هطلَتْ غيومُ جراحِهِ

وُلدت على شفتيه فاتحةُ النشيدِ :

"بغدادُ..هل كانت سماؤك

وردةً مسفوحةً

أم كان صدرُ الأرضِ من حمّاهُ

ورديَّ الأصابعِ والخدودِ؟!
يا أنتِ.. ياوجعَ العروبةِ
حين جرحُكِ يستحيلُ منارةً
في ليلنا العربيِّ،
يا..!!! وجعَ الأجنّةِ في خلايانا..
ويا غضبَ الجدودِ!"...
وأُطِلُّ من صمتِ الرمادِ على حريقِكِ
أستغيثُ بما تقدَّم أو تأخّرَ
من حكاياتِ التضامنِ والصمودِ
لا صرخةُ امرأةٍ تؤجّجُ في زبطرةَ نخوةً
لا ظلُّ معتصمٍ يلوحُ لنصرةِ امرأةٍ
تَقاذَفُها الحدودُ إلى الحدودِ..
ويصيرُ وجهُ النهرِ في بغدادَ أسودَ
والأخوّةُ صرخةً موءودةً في الحنجرةْ!
أيسحُّ دمعٌ من جبينِ طفولةٍ مسروقةٍ

أم طعنةٌ نجلاءُ غلّت في حنينِ الذاكرةْ؟!
أم أغنياتٌ عابراتٌ..
في مزاداتِ الكلامِ مبعثرةْ؟!

* * * *

أغلقتُ من وجعٍ عيونَ قصيدتي
فرأيتُ ليلى تنحني نصفَ انحناءتِها
على شجرِ العراقِ...
وكلّما مدَّ الغمامُ أصابعَ المطرِ المورّدِ
بابتساماتِ الطفولةِ
وابتهالِ الأمهاتِ على الشواهدِ
زغردَتْ جذلى على بابِ النخيلِ
ولوَّحَتْ لي بالشظايا والجراحْ..
لو كنت ليلى مرّةً..

لكنني.. كنتُ الغريقةَ في رمالِ التيهِ،
تمضغُني المتاهةُ فالمتاهةُ ثم ترميني
إلى زمنٍ بدائيٍ رديءْ
فأطلُّ من وجعِ الليالي السودِ هائمةً على
مرجٍ منَ الأقمارِ في جذَلٍ يضيءْ
قمرٌ بكفّي يستريحْ
قمرٌ لأحمدَ إذ يغادرُ بيتَهُ عندَ الصباحْ
قمرٌ لـ (فارسَ) حين ترسلهُ الدماءُ إلى البنفسجْ
قمرٌ لكلّ صبيةٍ وقفتْ على حدِّ الجراحْ
قمر لآياتٍ تناثرَ فوقَ خدّيها قرنفلةً تأرَّجْ
قمر بكفّي يستريحْ
قمر بحبّ الأرضِ، بالرؤيا توهجْ
فرأيتُ وجهَ النهرِ في بغدادَ أسودْ
ورأيتُ صدرَ الأرض مبتلاً بأحزانِ المراثي،

والمسيحَ مكللاً بالشوكِ
فوق الماءُ يمشي متعباً
وعلى صدى خطواتِهِ
تمشي قناديلُ الدماءْ

* * * *

فوق سرير الحزن

إلى الصديق الشاعر محمود نقشو الذي قال:
(هل بوسع امرأةٍ أن تخطف الريح من الدرب
وتبقي فرجة بيضاء بين الصمت والصمت
وتبقي الفجر أخضر)؟!...

إنه ليلٌ جديدٌ
سوف أبكي لوعةً فوق سريرِ الحزنِ
لن أسمعَ موسيقى وأخباراً ولن أقرأَ شعراً
كلّ شيءٍ صار في عمري رتيباً وكئيباً
مثلَ وجهي
وهو يحبو في المرايا كلما جاء الصباحُ
فعلى الأفقِ رمادٌ وجراحُ
وعلى الأفق جرادٌ يسرقُ القمحَ من الحقلِ

وتموزُ تعرّيهِ الرياحُ
فإذا طافَ ببوابةِ عشتارَ حنيني
أشرقَتْ ولهى تنادي عاشقيها
والحكاياتُ على أقواسِها مجدٌ مباحُ
فأجيبوا قلبي العاشقَ
هل أغفتْ على أبوابِ عشتارَ الرماحُ؟!..
دقّتِ السّاعةُ رملاً قيلَ: قاموا
قرؤوا عند ثراها سورةَ الفتحِ
وناموا..
وحدَها بغدادُ كانتْ ترتدي يقظتَها....
حينَ ضاءَتْ في لياليها الدماءُ!..
وحدَها بغدادُ ترقى نحو كربٍ وارفِ الأغصانِ
والكربُ ابتلاءُ
وحدَها تبحث تحتَ المطر الأسودِ عن أولادِها...
آن تبكيها السماءُ!..

* * * *

يا صديقي

(ما بوسع امرأةٍ أن تخطفَ الريحَ من الدربِ

وتبقي فرجةً بيضاء بين الصمت والصمتِ

وتبقي الفجر أخضر)!...

موجَعٌ قلبي، وهذا الوقتُ لا يشبهُ إلا نفسَهُ...

كلّ شيءٍ شاحبُ اللونِ كئيبٌ

صرخةٌ فوق هديرِ النهر والإيقاعُ أحمرْ..

وشموخُ النخل في البصرة مذهولاً تسمّرْ

فلكم باركَ زنداً في مدارِ الروعِ

كم صلَّى وكبّرْ..

ينهضُ السيّابُ ليلاً من كتابٍ

أصفرِ الأوراقِ أغبرْ

ربّما يسمعُ صوتاً في خليجٍ عربيٍّ

يتمنّى .. يتحسّرْ

لا يجيءُ الصوتُ، والآتي صدى محضُ صدى:

إنه وقتُ الردى...

والمدى مجدٌ تبعثرْ
فينادي مرةً في إثر مرة :
ياعراقَ الروحِ
أينَ الوردُ والشعرُ المكوثرْ؟..
أين قيسٌ.. أين شمّر؟!..
يا عراقَ الروحِ ذا عمري فدا نهريكِ
ذي روحي..وهل أملكُ أكثرْ؟!..
ثمّ يمضي
نحو حفّارِ قبورٍ عن أغانيهِ تأخّرْ

* * * *

إنه ليلٌ جديدٌ، ربّما أكتبُ شعراً،
ربما أرقصُ - رغمَ الحزنِ - جذلى أو أغنّي
ليسَ من طبعي الحيادُ الشاعريّ
حين يغزو جسدَ الأرضِ الرّمادُ
فحرابٌ وخرابٌ وجيوشٌ غادرةْ

وانتهابٌ واستلابٌ ونزيفٌ في جذورِ الذاكرةْ
يا سما بغدادَ، يا حاراتِها
أمطريني غيمةً من ذكرياتٍ ودعيني
أرحلُ الآن قليلاً نحو أمواه الفراتِ
فلعل القصبَ الأسيانَ يرثي
ما ذرته الريح من أسفار مجد بابليٍّ
فوق عشب الضفتينْ...
واعذريني يا سما بغدادَ..إني
متعبٌ قلبي ومحمومٌ جبيني
فخذيني نحو حلمٍ مستحيلٍ
ودعيني
في عَروضِ الشعرِ حيرى أتعثرْ
فلكم أعلنت للأطفال في بغداد حبّي
وتمنيت لهم نصفَ غناءٍ، بعضَ حلوى
وتمنيتُ لهم مناً وسلوى..
كم تغنّيتُ بثاراتٍ وسيفٍ عربيٍّ

وتلمّستُ ربيعينِ من الشوقِ وعشرينَ وريداً
وتوسّلتُ عيوناً ترتجي كُحلَ الأماني
كان صوتُ الدم نسراً
في مدى التاريخِ يهوي
ونشيداً غابَ في ليلِ الهوانِ
من هنا، من طعنةٍ في القلبِ قد جاؤوا إليكِ
صلبوكِ فوق أبوابِ الحكايات زماناً
واستباحوا نخلَكِ الساميَ من عشرِ الجهاتِ..
فاعذريني أنت يا بغدادُ إذ أبكي بقايا ذكرياتي
واعذريني..
أنا لم أمنحْكِ إلا صلواتي
غيرَ أني عندما اغتالوكِ في مطلعِ صدري
سرقوا مني حروفي
أبدلوا حبري دماءً تتلظى بين قلبي ودواتي
ما الذي يُمْكنُ أن يفعله الشاعرُ والشعرُ
خيالٌ وكلامُ

ورؤى العرّافِ والعرّابِ وهمٌ وكلامُ؟!..
وكلامٌ كلّ ما أعلنَهُ فينا أميرُ الجندِ
أو ذاك الإمامُ..
وعلى العُربِ، على ثاراتِهِمْ
منْ نزفِ بغدادَ ومنْ أشلاءِ قتلاها
السلامُ.

2003/4/10

إيقاعات

مطرٌ يباركُ في الصباحِ قصائدي
وأراهُ يمضي
مثلَ أغنيةٍ إلى الغاباتِ يحضنُها ويركضُ
نحوَ أكتافِ الصنوبرِ والعرارِ..
ذي قبراتٌ ضارباتٌ في المدى..
برقٌ ورعدٌ.. والمدينةُ
غادرتْ أسوارَها ومضَتْ
تلوِّنُ فرحةَ الأطفالِ،
تفتحُ شُرفةَ الغاباتِ للريحِ العنيدةِ

كي تعبّئَ ما تيسَّرَ من ثمارٍ قطّرت أسرارَها
شهداً على ظمأ الشفاهِ اليابسةْ،
زَمَنٌ من الأشواقِ مرّ بنا ووقتٌ لا يحاورُنا
ومثلَ البرقِ يفجؤُنا..
فنلقى الدربَ عريانَ الرصيفِ
من الخُطا الحمقاءِ
يبتعدُ الصّبا عن بيلسانِ جبالنا الخضراءِ...
ألمحُ وجهَ من تركَ المدينةَ لليباسِ
وغلَّ في حزنِ الصنوبرِ
ـ ذات صيف ـ
وانكسارِ الأمنياتْ..

* * * *

مطرٌ على أطرافِ غابتِنا وأكتافِ الصنوبرْ
وهديلُ هذي الريحِ

يأخذُني إلى روضٍ مِنَ الكلماتِ
تهطلُ من رؤى الكتبِ القديمةِ والمدارس والمنابرْ
فألوذُ بالتذكارِ واجفةً أندّي صمتَ أغنيتي
بصوتِ أبي وأوقظُ جرحيَ الأسيانَ
أستلُّ احتراقَ العمرِ
من بوّابةِ الأحزانْ

* * * *

وذا جرحي يباركُني...
يعندمُ ما تبقى من فصولِ الشوقِ بينَ حرائقِ
الأوقاتِ يفتحُ شرفةً حمراءَ نحو العابرينَ إلى مواجعِهمْ..
وأقسِمُ لم تكنْ أمي سوى.. امرأةٍ موشحةٍ
بنصف أسايْ..
ما كانت مخاوفُها
سوى رؤيا على أهدابِ غُصَّتِها ،

وأقسِمُ.. لم أكن إلايَ حين توقَّدَتْ في القلبِ
جمرتُهُ الخرافيةْ
وكان الشعرُ كان الحبُّ..
كانت غربتي الأولى..
وكانت غربتي العشرونْ
وها إني أمدّ القلبَ نحو نهايةِ الأحلامِ
ـ لا حبّ يبعثرُ في الدروبِ خطايَ ـ
لا بوابةٌ للوجدِ أعبرُها
لألقى العاشقَ المجنونَ في ليل شتائيٍّ،
جنونَ الريحِ يحترِفُ
يسارِرُني ببعضِ فصولِ لهفتِهِ،
أغلُّ بها وأعترِفُ:
أنا ما عدْتُ مثلَ الأمسِ عاشقةً وطيبةً،
أنا ما عدْتُ أغنيةً تموسِقُها الضفافُ الخضرُ
أو تحنو عليها الريحُ في كانونْ..

أكنُّ أنا ، وأتركُ للجنونِ مساحةَ الكلماتِ
كي يختالَ بين قصائدي.. ورفيفِ قلبي
كلما عبرَتْ خطايَ طريقَ مدرسةٍ
رسَـمْتُ على مقاعدِها
حروفَ قصيدةٍ ومضيتُ..
أحتقِبُ الهوى والشعرَ والجبلَ المحنّى
بالعبيرِ وبالصفاءِ
يشدُّني توقٌ إلى الأبوابِ والجيرانِ يأخذُني
إلى امرأةٍ..
تلعثمَتِ الحروفُ على شفاهِ حليبِها فمضَتْ
تعلّمُني أفاويقَ الحنانِ الطفلِ
تشعلُ في دمي الأحلامَ لو أصحو
وحين أنامُ متعبةَ الرؤى أصغي إلى وجَعي ..
يعانقُ في السريرِ سوايْ...

فاتحة للشعر أو لليأس..

لم يكنْ بيني وبين الشعرِ إلا وردةٌ
عندما أشرقَ الحبُّ في عمري
وأغواني سناهْ
لم يكن بيني وبين الوردِ إلا غيمةٌ
يوم دقّ المطرُ الدافئُ صدري واستباهْ
فارتمى قلبي على حدِّ جنونٍ عامريٍّ
وتمادى في هواهْ
فاختزلْتُ الشّعرَ في أمداءِ روحي
وعلى منعطفٍ من سوسنات
ضيّع القلبُ صداهْ!..

كلما أغرقَني فيضُ حنينٍ
يرتمي قلبي على حدِّ الغناءْ
ما الذي يرسمُهُ الشاعرُ في لحظةِ بوحٍ
قد يرى فيها أناهْ؟!.
أيَّ سيفٍ يُشهِرُ الشاعرُ كي يحمي
عبيرَ النخلِ والطلعَ المدمّى
وحكاياتٍ ذرتْها لعبةُ الحربِ وشلّتْ
عطرَها فوقَ الجباهْ ؟!..
كلما صبَّتْ عليه الريحُ زيتاً من جنونٍ
أورقت فينا رؤاهْ ؟..
أهو شعرٌ كلُّ ما نكتبُهُ اليومَ على جمرِ الشفاهْ
أم تراهْ
صارَ لونَ الموتِ فينا وتخطّى مبتغاهْ..
فاسْترِحْ يا أيها الشاعرُ، ودِّعْ عبقرَ الشعرِ
وأسْدِلْ فوقَ عينيكَ نخيلاً يابسَ الروحِ

ونهراً عاثرَ البوحِ
تناءَتْ عن مدى عينيك يأساً
ضفَّتاهْ..

2003/4/20

وأنا أحاولُ نارَها

حتامَ ترهقُني القصيدةُ
وهي توغلُ بينَ أوردتي ونبضي
حتّام تحملُ وزرَ أسئلتي ومبتكرَ الحرائق والدماءْ
وتؤثّثُ الصورَ العصيّةَ وانزياحَ القلبِ منْ
همٍّ إلى... همّ وتمضي
وإلامَ أشعلُ وردةً لحضورِها
وأنا أحاولُ نارَها
- يتُها الحزينةُ هل ترَينَ وقد أتيتِ غداةَ نزفٍ وانكسارٍ
كيفَ بعضي اليوم أصبحَ يستغيثُ

بجرحِ بعضي؟..

أوَ جئتِ تلتمسينَ أغنيةً تورّدَ رجعُها

فوق الضفافِ وفي بياضِ الياسمينْ؟ ..

أمْ جئتِ تغتالينَ في صدري بقايا ما تكسّرَ

من حكاياتِ التولّهِ والحنينْ؟

ورأيتُ أشلاءَ الضحايا وهي تورقُ أشرعتْ أوجاعَها

وتزمّلَتْ صمْتَ الشوارعِ

واحتمالاتِ التشرُّدِ في متاهاتِ الظنونْ

ورأيتُ قافلةً من الطعناتِ

أسرَتْ نحو وجهكِ وانثَنَتْ

نحوَ الحروفِ الذاوياتِ صدىً خريفياً حزينْ

ورمت إليكِ بكل ما في الكونِ منْ

صخَبِ التوجع والأنينْ؟

* * * *

حتامَ ترهقني القصيدةُ ـ

وهيَ تحملني إلى وطنِ النجومِ الغافياتِ

على سريرِ الحلمِ من أزلٍ

يساررنَ الغيومَ هيامَهنَّ بقبلةِ القمرِ الرهيفةِ

إذ يسرّحُ ضوءَهُ كلَّ انتظارٍ في المداراتِ البعيدةِ

وهي تزهرُ بالنجومْ

هو..لا يحبُّ الواقفينَ على بداياتِ التخومْ

هو.. لا يحبّ الطاعنينَ بخوفِهم من شاهقِ الأحلام

يرميهِمْ على حدّ الهمومْ..

هو.. لا يحبّ الخائفينْ..

حيرى أنا..

والكونُ حولي غابةٌ يغتالها صمتٌ حزينْ..

لا الضوءُ يمسحُ صمتَها

لا النهرُ يغسلُ حزنَها

لا شيءَ يُجدي بعدما
قُتِلَ المغنّي بين أوقاتِ المآتمِ والسجونْ..

* * * *

شجرٌ يمرُّ على بداياتِ الفصولْ
ودمٌ يُؤرِّجُهُ على شجرٍ هطولْ
وقصيدتي ـ مسكونةً ـ لمّا تزلْ
بهواجسِ الموتِ الجميلْ
كانت تزغردُ مرّةً
في مُرتقى قانا الجليلْ
فتلفّ أعراسَ الجنوب بحبِّها
وتضمّ في بغدادَ أعذاقَ النخيلْ
واليومَ ترقصُ مثل طيرٍ نازفٍ
ما بين غزةَ والخليلْ
وعلى تأوّدِ خصرِها

تهمي تفاعيلُ التأوُّهِ والعويلْ..
كلماتُها.. تنهَـدُّ فوق محارقِ الصبرِ المدمّى
والسّلامِ المستحيلْ..
فلتهرقوا يا أيها العربُ النيامُ على دماها
كأسَ مُرٍّ مرّةً، ولتشربوا أنخابَها..
بحراً مديداً أو طويلْ
وتوازعوا ـ إن شئتمُ هرَباً إلى نسيانِكمْ ـ
شلواً صغيراً أو كبيراً من قلوبِ الثائرينْ..
وإذا صحوتُمْ مرّةً
فتفيَّؤوا أطلالَ ماضينا الجميلْ
وعِموا صباحاً شاحباً
وتثاقلوا.. وتفاءلوا..
أو.. فالعنوا إن شئتمُ
أهواءَكمْ ورياءكمْ وبكاءَكم
في حضرةِ الزمنِ الهزيلْ..

* * * *

لم يبقَ غيرُ الشعرِ متّكأً لأحلامِ القلوبِ الثائرةْ
إن مرّ وجهُ مدينةٍ ثكلى بأقصى الذاكرةْ
أو ماسَ حقلٌ من نجومٍ في ضفائرِ طفلةٍ
مشلولةِ النبضاتِ منْ بدءِ الشّفاهِ
إلى أنينِ الخاصرةْ..
لم يبقَ غيرُ الشعرِ نافذةً
نحاولُها على زمنٍ عصيٍّ قادمٍ
نرتادهُ متثاقلينَ إلى مرايانا الكئيبةِ
حين ترشقُنا بماءِ وجوهِنا الكسلى
يبعثرها جنونُ لهاثِنا
خلفَ انكساراتِ الحقيقةِ واحتراقِ الوردِ
في مطرِ الدماءِ الثائرة.

* * * *

كم من مدائنِ نخوةٍ
شمخَتْ على قممِ النضالِ وأسرفَتْ
وتبسّمت للموتِ صاعدةً إلى أقصى الهدى
تستوكفُ المطرَ الحريقْ!..
أحلامُها عمرٌ من الآهاتِ والصرخاتِ
والطلقاتِ والحزنِ العميقْ
هيَ بانتظارِ قيامةٍ أولى سينفخُ صورَها يوماً
شقيقٌ أو صديقْ...
أيجيءُ؟..
وانسحب الأحبة من رمادِ الصمتِ
وانصرفوا إلى موتٍ على دمِهمْ يضيقْ
أيجيءُ؟..
لونُ البرتقال مخضبٌ برُعافهم
والقدس نافذة مضوأة وسربُ حمائمٍ
ترنو إلى أفق يسوِّره البريقْ

لم يبقَ غيرُ الشِّعرِ..

ماذا تفعلُ الكلماتُ في زمنٍ كسيحٍ مائلٍ

وإلامَ يفجعُنا التخاذلُ والتقزّمُ

والتشرذمُ والدمارْ

حتّامَ يذرفُ شعرَنا أوجاعَه متغرّباً

وإلامَ نركضُ بينَ أبوابِ القصيدةِ

حين تنهشُنا بدايات الحصارْ؟.

حتّامَ ترهقُني القصيدةُ يا دمي

خُذْها إليكَ أو انْسَحِبْ

ما عادَ يجديكَ اعتذارٌ

ما عادَ

يجدينا

اعتذارْ..

2006

في حضــرة موتك.. حيّاً

ألمٌ يسّاقطُ من أعلى الصدرِ
يمدّ مُداهُ إلى قلبي
ينكفئُ النبضُ
يضيقُ الصّدرُ بدندنةِ الأجراسِ
أحاولُ أن أتحرّكَ نحو خلاصي..
أيَّ خلاصٍ أرجو
من هذا البحرِ المائجِ لحماً ودماً
يتّخذُ طريقا نحو الفردوسِ الموعودْ
ومواكبُ أطفالٍ موءودينَ تحفُّ بها أجراسٌ

من وردٍ وملائكةٍ أطفالْ
أسرابُ طيورٍ تتبعثرُ أجنحةً سوداءْ
وأنا يُرهِقُني أني أُشْبِهُ كُرسيّاً
يتسمّرُ فوقَ الكرسيِّ
لأرْشُفَ قهوةَ حزني تعباً
يصّاعدُ من أعماقِ الروحْ
لكني أضحكُ..
أضْحَكُ حتى الدمعِ الأحمرْ
وأنا أبصرُ بينَ وجوهِ الناسِ عيوناً تدمى
ورقاباً أحنتْها الصَّفعاتْ
وشفاهاً لا تُتْقِنُ إلا أنْ ترشُفَ قهوتَها
أو تتلو آياتِ الشّكرِ لسيّدِ هذي الحربِ الوالِغِ
في نهرِ دِمانا
والمتمدِّدِ فوقَ سريرٍ من أشلاءِ ضحايانا
الطالعةِ شقائقَ نعمانٍ في كلّ مكانْ..

كم من وجعٍ أحتاجُ اليومَ
لأدخلَ في ملكوتِ الآلامْ
كم من مطرٍ أتشهى كي يَغْسلَ روحي
من ترَفِ الاحزانْ
فأنا ما زلتُ أُراكِمُ صرخاتي من ألفِ الخلقِ
إلى ياءِ الإعياءْ..
أنّى لي منديلُ حريرٍ
يسّاقطُ من توتِ الشجرِ النازفِ
قربَ حدودِ الغيمِ جداولَ من مطرٍ ودماءْ
أنّى لي ساقيةٌ أتلمّسُ بين حصاها
ذهبَ الأوقاتِ الـ ضاعَتْ مني
ذاتَ جفاءْ
من منكم يعرفُ وجهَ حبيبي
أو يتذكّرُ وقعَ خطاهُ
على شُرُفاتِ الأسرار؟..

كنت أسابقُ خطوي نحو الوعدِ الأحلى

كي ألقاهُ

وأورقُ في عينيهِ بلاداً رؤيا

أو رؤيا لبلادْ

من سمّى حبي ذاك جنوناً؟..

من عاتبني يومَ رقصْتُ على الأغصانِ

قبيلةَ شوقٍ.. أو

يومَ تماهيتُ بساطعِ خضرتِها

أسئلةً من شعرٍ وجنونٍ

تشعلُ في الألوانِ النّارْ..

من منكم يذكرُ؟..

أذكرُ... كنا سبعَ نساءٍ

نسندُ أيام الأسبوعِ بأسرارِ الكلماتْ،

إحدانا.. انصرفَتْ نحوَ ضفائرِ طفلتِها

فرَشَتْها بينَ الأعشابِ وصلّتْ

كي لا ينْتَهِكَ براءتَها الغرباءْ

والثانيةُ.. الثالثة.. الرابعة..الـ

ركضَتْ غرثى بين جهاتِ الرفضِ

وبين حكاياتِ الإغواءْ

ومضينا نقضُمُ خبزَ دفاترِنا ظمأً

ونلوكُ الماءْ

كانت مدنٌ تتخلّقُ في أعينِنا

يغفو فيها أطفالٌ

يبتسمون لأحلام ملأى بكنوزِ علاءِ الدينِ

ويبتكرونَ طرائقَ كي يمتلكوا المصباحَ السحريَّ،

ويحظَوا بأميرةِ أحلامٍ

تشبِهُ ستَّ الحسنِ قليلاً

وقليلاً تشبهُ سيدةَ القمحِ الأولى عشتارْ

كانت في أعينِنا أنهارٌ منْ عسلٍ

تتهادى فوقَ جبينِ الأرضِ العربيةِ

مانحةً نخلاً وعبيراً
يتضوّعُ من تفاحٍ أو رمّانٍ أو أعنابٍ سكرى
بعصائرِها..
يا ربَّ الكونِ انتُهبَ الحلمُ
وضاعَتْ بين مرايا الوجعِ الليلي
مصابيحُ الأطفال..
من منكم يذكرُ كيف انتُهِبَ الحلمُ
وضاعتْ بين مرايا الوجعِ الليليِّ
مصابيحُ الأطفالْ!...
كانت مدنٌ في أعيننا
ترفعُ صلواتٍ خمساً بل عشراً
كي يبقى السيفُ العربيُّ صقيلاً
فوقَ الأبوابْ..
من سرقَ السيفَ وأعطى الجلادَ سيوفاً
تَضْرِبُ في الأعناقْ،

من قال لفاطمة الغزاويةِ : إنّ الليلَ طويلٌ
إنْ لم تقطعْ وردَ الحزنِ
وتسفحْ دمَهُ قدامَ الأبوابْ؟..
من قالَ لمريمَ تحمي مهدَ الطفلِ بقامتِها :
قدْ حانَ أوانُ الصلبِ الواحدِ والعشرينْ
فانتبذي بالطفلِ يسوعَ مكاناً لا يقتلُ فيه نبيٌّ
لا تُغصَبُ فيه الأنثى
أن تدفعَ من جسدٍ حرّ كالنسمةِ
صكَّ براءتِها من رجسِ الشيطانْ؟!..
من لي بتعاويذِ مدينتِنا أنثرُها في مُنْعَطَفِ اللهفةِ
كي أنتظرَ إيابَ حبيبي من عَتَماتِ القصفِ
ومن صفاراتِ الإنذارْ؟..
ماذا لو أنّا نغسلُ أقدامَ التَّاريخِ
بملحِ البحرِ وأسرارِ الكلماتْ
أو نشعلُ ناراً في أعشابِ دفاترِنا وقصائدِنا

كي نستدفئَ في أيامِ البردِ الراحلِ أو
أيامِ البردِ القادمِ بعدَ شتاءْ؟!..
أشعلتَ بصمتِكَ ناري الأولى
ركضَتْ عشتارُ إلى بواباتِ الخوفِ
وتَمّوزُ استأنفَ رحلتَهُ السنويةَ بينَ الموتِ
وبينَ الموتْ
فانداحَ الصوتْ:
ياسيدةَ القمحِ الأولى هذا قمحُكِ
يُطلِعُ جوعاً ما بينَ النهرينْ
فعلامَ تغذّينَ الخطوَ إلى عالمكِ السفليِّ
تموزُكِ خلفَ مرايا الزقوراتِ وحيداً يحلمْ..
أو.. يبحثُ عن نافذةِ ضياءٍ
يتسلّقُ نهرَ ضفائرِها ويعودُ وحيداً
من أرضِ الموتِ فيبدأُ تاريخاً للحريةِ
ما بينَ النّهرينِ

ليكتبَ بدماءِ المنتصرينَ حكايةَ عودتِهِ الكبرى..
ويلوّنَ بوابةَ بابلَ بشظايا ذاكرةِ الآتينْ
فالأجملُ منْ رسمِ الكلماتِ قصائدَ
من عطرٍ وحريرٍ نحتُ الكلماتِ بروقاً
من صرَخاتِ القلبِ الطامحِ للحريّةْ
والأجملُ من ميراثِ الأشلاءِ دموعاً
أن نبتكرَ الآنَ حياةً
من غضبِ الأشلاءْ
فتبتلْ في حضرةِ موتِكَ حيّاً
أو.. فتلمَّسْ عمراً آخرَ يغدو فيه الموتُ حياةً
وتخيّرْ موتكَ..
هل.. تتخيرُ موتك؟!..

صيف 2004

سوى السيف

هربَ النبضُ من القلبِ
وأرداهُ الجفافْ
كلّ حلمٍ صارَ في رؤياه وهماً
والأمانيُّ عِجافْ.
أيُّ شوقٍ مدّ في صدري جسوراً
نحو نهرٍ في مهبِّ الحربِ يجري
معلناً وقتَ الرّعافْ؟
مطرٌ أحمرُ يهمي
فإذا الأرضُ ربيعٌ منْ دماءٍ وضياءْ

نهضت بغدادُ من حزنِ الثكالى
أعلَنَتْ عرسَ البهاءْ
قرأَ النخلُ فصولاً من شموخٍ
من رَمادِ الصمتِ يأتي من هشيمِ الأمنياتْ
من ترابِ الأرضِ معجوناً بجرحِ الكبرياءْ
هي بغدادُ وليلُ العرسِ لا يبدأ حتى
ينتهي الحراسُ من نزهتِهمْ
هو ذا صوتٌ بلالٍ هاتفاً: الله أكبرْ
إنّ في النهرينِ ماءْ
إنّ في النهرينِ ماءْ
وأنا أُمسِكُ نبضي وهو يعدو
من شتاءِ الحزنِ حتى
تلتقي البصرةُ والموصلُ
في مطلعِ فجرٍ بدأتهُ كربلاءْ

* * * *

هو عامٌ مرَّ منْ حزنٍ إلى حزنٍ
فكفّنتُ قوافيَّ وأهملتُ نشيدي
وتلمّستُ بصدري فُرْجةً أبصرُ منها
أملاً يحدو وريدي
كانَ ماءُ النهرِ أسودْ
وجبينُ الأرضِ أسودْ
ومرايا البابليّاتِ بقايا من زجاجٍ شاحبٍ
في ليلِ معبدْ
هو عامٌ مرَّ منْ حزنٍ إلى حزنٍ
فأضناني خريفي
وأنا ألهثُ من أرضٍ إلى أرضٍ فلا ألمحُ
"خيطاً" من ضياءْ
أو مدىً أفتحُ شباكَ أغانيَّ على أقواسِهِ
كي أرى صبحَ دماءْ
من رعافِ الجرحِ يأتي

من نزيفِ الكبرياءْ
هو عامٌ مرَّ منْ حزنٍ إلى حزنٍ
فكفَّنتُ قوافيَّ وأطفأتُ نشيدي
وتلمَّستُ بِصدري فسحةً أبصرُ منها
أملاً يحدو وريدي...
كانَ ماءُ النهرِ أسودْ
وجبينُ النهرِ أسودْ
ومرايا البابليّاتِ بقايا من زجاجٍ شاحبٍ
في ليل معبدْ
هو عامٌ مرَّ منْ حزنٍ إلى حزنٍ
فهل نمضي إلى بغدادَ كي
نسألَ "ميرا" عن بداياتِ هواها
أم نغني كلما هبَّ نشيدٌ من حدودِ الدمِ والدمعِ
فلمّته يداها :
غادرتنا سفنُ الموتِ وهبَّ البحرُ

وردِيَّ الزبدْ

كلّما قالوا: أتيناكم بخبزٍ وأمانٍ ومددْ

أعلنَ النخلُ على أكتافِ دجلةْ:

ما سوى السيفِ أحدْ

ما...

سوى...

السيفِ...

أحدْ!....

ربيع 2004

أحزان سفانة الطائية

عشبٌ على جسدِ الصباحِ
وخيطُ نارٍ في يدي
قمرٌ يدقُّ على النوافذِ
يستغيثُ بصرخةِ امرأةٍ
تُناورُ ليلَها برسالةٍ مرميةٍ
بين الأصابعِ و...الشفاهِ الشاحبةْ
أو... ترتمي
حقلاً من القبلاتِ فوق جبينِ طفل نائمٍ
يرنو إلى حلمٍ صغير نازفٍ
بين الجراحِ الصاخبةْ

* * * *

عشبٌ على جسدِ الصباحِ
وخيطُ نورٍ في يدي
قمرٌ يدقُّ على النوافذِ متعباً..
وغزالةٌ وقفتْ على بابِ القصيدةِ
مستباةً ساغبةْ
أوَ تستجيرُ بمن توارى خلفَ أستارِ الظلامْ
أم.. تستغيثُ بمن
يشيّعُ بالندامةِ صاحبَهْ؟!..

* * * *

زمنٌ رماديُّ الملامحِ
يرتدي حللَ الكلامْ
مدنٌ تَساقطُ من كواكِبِها بداياتُ الحكايةِ
والنهايةُ..
لا تسرُّ الخانعينَ ولا تروقُ

لمن توغّلَ في متاهاتِ الخيانةِ
والقتامةِ والخصامْ
زمنٌ رماديُّ الملامحِ والمواسمِ والغلالْ
زمن .. رماديُّ السلامْ
صرخَتْ على أبوابِ "حاتم" طفلةٌ بدويةُ القسماتِ
كانت ذاتَ عزٍّ تملأُ الدنيا
وتخطرُ في دلالْ: قمْ يا أبي..
قد صيّروكَ حكايةً موروثةً
واستنفدوكَ على العصورِ شهامةً
ومروءةً وندىً ومالْ
ماذا تقولُ إذا تنادَوا في الشّمالِ لنُصرةِ امرأةٍ
تحاولُ في الجَنوبِ أمومةً وكرامةً؟!..
ماذا تقولُ إذا تنادوا في الجنوبِ لنصرةِ امرأةٍ
تحاولُ في الشمال توهجاً
لتردَّ عن أمواهِ دجلةَ نارَ بغيٍ أو قتالْ؟!..

قمْ يا أبي..

ها هم يصوغونَ الحكايةَ من دماءِ الحلمِ

يبتكرونَ موتاً للأحبّةِ.. للحدائقِ والنّخيلْ

غادرْ رفاتَك يا أبي

واهجرْ فلاةً لا تجيءُ إليكَ

فاتحةً ظلالَ نخيلِها

لتردَّ عن عينيك نارَ هجيرةٍ

ظمئتْ إلى كفٍّ

تلوّحُ بالدماءِ الصّاخبةْ

* * * *

غادرْ رفاتكَ يا أبي..

هيَ غربةٌ غلّتْ بصدرِك مرّةً

ومضَتْ على كفّيكَ تونعُ

كلّما استشرى حصارْ

غادر رفاتك يا أبي...

لا تُسرجِ الفرسَ الجميلة للطعانِ

أو الهروبِ مِنَ الطعانْ

فالخيلُ ما عادت تغيرُ إذا تنادَوا للسلاحْ

والمدمنونَ على الخديعةِ أغلقوا أنخابَهمْ

وتحطّمتْ أقداحُهمْ ظمأى

على بابِ الصباحْ

غادرْ رفاتَكَ يا أبي....

تعبتْ مدائنُنا..

وصارَ الرملُ ملفى كلّ طاغيةٍ تجبّرَ

ثم أوغلَ في دماءِ الأبرياءْ

والليلُ ما عادت كواكبُهُ تشدّ إلى مدارجِها

فتى الفتيانِ مقترفاً هوى ليلاهُ

ما عاد المدى يمتدُّ من كفِّ الحبيبِ

إلى ذؤاباتِ الضفيرةِ

وهي ترقصُ في دلالْ

ماتتْ مآثرُنا

فنحنُ اليومَ قومٌ لا نطولُ ذؤابةً

ولقد نطالْ

غادرْ رفاتك يا أبي

واتركْ حكايتَك القديمةَ نهبَ أحلامِ الرجالِ

ولا رجالْ..

ربيع 2006

هذا المساء..

ماذا يخبّئُ للهوى هذا المساءْ؟!..
أغنيّةً أم بعضَ شعرٍ هائمٍ
بين التفاؤلِ والبكاءْ؟..
أم غيمةً ورديةً يندى بها أيلولُ كي
يهبَ المدى شجراً وماءً أو دماءْ
أم فيضَ أشلاءٍ توزّعُ حزنَها
من أرضِ غزّةَ أو جنينَ إلى مفارقِ كربلاءْ
ماذا يخبئ للعيونِ الوالِهاتِ على حدود النزفِ
تستجدي بقايا الكبرياءْ؟..

ماذا يخبئ للهوى هذا المساءْ؟!..

خمسونَ عاماً والكلامُ معبأٌ برعافِنا

ورئاتُنا تتنفس الأحلامَ تبني عالماً متورداً

بالأغنياتِ البيض تكتبها الشرايينُ الظماءْ

خمسون عمراً من نزيف القلبِ تسحبُ ظلّها

فوق الوجوهِ المتعباتْ

خمسون حزناً والقصائدُ بين أيدينا

مواسم أمنياتْ

والشعر هذا الكائن السحريّ ما زالت على إيقاعِهِ

تمتـدّ أسئلةُ الحياةْ

ماذا أقول أنا الحزينةُ يوم تسألني الطفولةُ

عن مفاتيح الطفولةْ؟!..

سأقولُ: إنّ حدائقَ النارنجِ ما زالَتْ

تُلوِّحُ للأحبةِ بالدماءْ

وأقول: إن بنفسجَ الأحزانِ يركضُ

بين أطرافِ البلادْ

وأقول: إنَّ قصائدَ الشعراءِ

مازالت تصوغُ بهاءَها

وأقول: إن الشعرَ في أوراقِنا

ما زال يوري النارَ في

شجرِ البطولةِ والفداءْ.

أيلول 2004

رسالة طفلة عربية

أرِقٌ دمي..

من ذا يغطي ليلَ أمي بالحنان وينثني

ليحيلَني بنتاً على بابٍ غريبٍ تستغيثُ

وتبتدي أحزانَها

يا (سامعين الصووووت)...

من منكمْ يجيرُ صغيرةً

سفحَ الغزاةُ إباءَها

وتقاسموا أحلامَها

ورمَوا بإخوتِها إلى زمنِ الضياعْ؟!..

أرقٌ دمي

من ذا يقايضُني على عمري بسيفٍ
كان يُشهِرهُ على الباغي شُجاعْ
من ذا الغداةَ سيفتدي وطناً
يحاصِرُهُ الأعاجمُ والرعاعْ؟!..
أرِقٌ دمي وأصابعُ الأحزانِ
تنسجِني قميصاً بابليّ اللونِ
طُرِّز باللهيبِ وبالدماءْ؟!..
لا تسألوا عن عزّةٍ عربيةٍ
أو وثبةٍ مُضَرِيَّةٍ
لم يبقَ في تاريخِنا
غيرُ المنافي والمجازرِ
والضياعْ..

خريف 2005

يوميات طفل

وحدي أنا في ليلة الأحزانِ
أفترشُ المواجعَ لا شموعٌ في يديَّ،
ولا فضاءٌ تستجيرُ به ضفافُ طفولتي،
سرقوا مكاتيبي البريئةَ، لونَ وجهي، ذكرياتي،
وجهٌ أنا مُتقنّعٌ بمرارتي
من غيرِ ما ماضٍ وآتِ
وفتاتُ خبزي يابسٌ مُتَخضِبٌ بدمِ الأحبةِ،
بالدموعِ المالحةْ
ضاعَتْ دفاترُ لهفتي

فحقيبتي مثقوبةٌ بضجيجِ دباباتِهم ،
وعلى المقاعدِ ذكرياتُ الأمسِ
باردةٌ حزينةْ
وسؤالُها فوق الضميرِ العالميِّ معلَّقْ
حتى انكسارِ الصوتِ في وادي الصُّراخْ :
هل يتقِنُ الأطفال في بغدادَ أغنيةَ الفرحْ
و يلوّنونَ بما تبقى من أصابعِ عمرِهم
في "بيتَ لحمٍ"
ضحكةَ المهدِ القتيلة؟!..
هل يُشرِقونَ على الدروبِ لرؤية المولودِ
في دفءِ السكينةْ؟.
هل يورِقونَ على دفاترِ موتهمْ
كي يقرعوا الأجراسَ في القدسِ العتيقةِ ،
والمدى في القدس مهجورٌ مهجّـرْ؟!
دمُناعلى أبوابِهم ، دمُناعلى أثوابِهم ،

دمُنا على أهدابِهمْ
والحلمُ ـ رغمَ الموتِ ـ أخضرْ.
وحدي أنا متبعثرٌ ما بين أغنيةٍ وذكرى
تنهدُّ أولاها أسىً وتضجُّ ملءَ القلبِ أخرى
وأكاد أخرجُ من دمي وأُجَنُّ أسئلةً وصبرا:
من ذا توغّل في ذواكرِنا بنارِ رياحهِ
وأطالَ في تغريبنا مدّاً وجزرا؟...
أنظلُّ نحلمُ بالخلاصِ وننحني تعباً وقهرا؟...

* * * *

وحدي أنا في ليلةِ الأحزانِ
أرتشِفُ الدموعَ تفيضُ من ستِّ الجهاتْ
وعلى المدى نارٌ وبارودٌ وأغنيةٌ وريحْ،
من ذا يضمُّ إليه في هذا المساءِ حكايةً من بيتَ لحمٍ
أو من الأقصى ليرويها
لأطفالِ العراقِ المولَهينَ بحبِّ دجلةَ والفراتْ؟!

من ذا يعلمُهم كتابَ الصبرِ في الزمنِ الذّبيحْ ؟
نهضوا هناك يقاتلونَ عن البراءة والندى
ويباركونَ النهرَ بالقبلِ الرضيّةِ
آنَ ترسمُها شفاهُ الأمهاتْ..
وظلالُهم تحبو على الجدرانِ ولهى
فـ(العامريةُ) لم يزلْ يحنو على أشلائِهم
ويلمُّ بالأهدابِ أغنيةَ الأصابعِ وهي ترسمُ
شمسَها وسماءَها
وربيعَها الآتي على مطرٍ
ليفتحَ مُغلقَ الشرفاتِ في وجه النهارْ
ويزيحَ عن فرح الطفولةِ والقرى والنخلِ
أوجاعَ المجازرِ والدمارْ..
يا أيها المتسربلونَ بصمتِكمْ
لا تقرؤوا سِيَرَ البطولةِ
في كتاب الغابرينْ
صَدِئَتْ على وجلٍ عباءاتُ السنينْ
شُلّتْ رماحٌ كان يحملُها شيوخٌ

يقرؤونَ الرملَ في شط العربْ
هي لعبةٌ تبغي خياراً ضيّقاً ما
بين ذال الذلّ أو ذال الذهبْ!..
ولنا تفاصيلُ المواجعِ والتعبْ
ولنا من النفطِ التشردُ والسَّغبْ
ماذا تقول سيوفُ من سكنوا مَدى أحلامنا،
وتقاسموا وجدانَنا عبرَ الحقبْ ؟!
ماذا إذا نادى المنادي ذات قهرٍ:
يا لَثاراتِ العربْ!...
ماذا إذا ناديتكم ورميتُ كفيَّ اللتين امتدتا
مِزَقاً على أبوابِكمْ
كي تصرخوا لو مرّة:
إنا لِثاراتِ العربْ!..
2005

الزنبقة الأولى

إلى روح الشهيدة وفاء إدريس

تطفو على دمِها الجراحُ..
فتستريحُ على سريرٍ من غضبْ
وتروحُ تصرخُ أو" تولولُ" :
يا.. لَثاراتِ العربْ!
ياوجهَها!. والحزنُ يرسمُ فوق طلتِهِ الوديعةِ
برقَ سيفٍ من لهبْ
يا حزنَها!..
كم أرَّقتْها رقصةُ الطيرِ الأخيرةُ
وهي تنثُرُ ريشَها وجَعاً

على أهدابِ من عرَجوا إلى أحلامِهمْ
من صرخةِ الجرحِ المسافرِ بين زيتونِ الجليلِ
إلى نهاياتِ النقبْ!
أوَ.. تستجيرُ بما توارى في جهاتِ القلب
من حمّى التعبْ؟!....
تطفو على دمِها حكاياتٌ
روَتْها ذاتَ صبحٍ جارةٌ
سرقوا حقيبةَ طفلِها
كسروا له أقلامَه الورديةَ الألوانِ
فاحترقتْ تفاصيلُ الكلامِ
على قُصاصاتِ الورقْ
يا حزنَها!..
ودموعُ جارتِها تبلِّلُ صبحَها بالقهرِ
والدنيا سوادٌ أو دماءٌ..
أو رمادٌ أو دماءٌ أو.. سوادُ

وعلى ضفافِ مسائِها..
كم مرَّ طفلٌ شاحبٌ
أو مرّ شيخٌ يرتدي أحزانَهُ
وتبوحُ حباتُ المسابحِ في أصابعِه النحيلةِ
بانكسارِ الأغنياتِ
على شحوبِ شفاهِهِ
يبكي بصمتِ الكبرياءِ صغارَهُ
ويلمُّ بالكفّين أشواكَ التعبْ
ووفاءُ تمضي.. من سريرٍ نازفٍ قهراً
إلى أشلاءِ أطفالٍ
تناثرَ لحمُهم مِزَقاً مقدسةً
على أبوابِ مدرسةٍ وفي أطرافِ شارعْ
وتكادُ تسمعُ قلبَها يبكي ويهمسُ:
يا... وفاءُ
حتّامَ تحترفينَ صبرَ الأمهاتِ

وتدخلينَ صغيرةً وجعَ الحمائمْ
أوْ.. تنثرينَ ضفائرَ الأحزانِ في
صيفِ المآتمْ
وتكاد تبصرُ قلبَهاْ طيراً
يُحوّمُ في فضاءاتِ العواصمْ
هل تستغيثْ؟!
وتكادُ.. لكنْ..
هل يُغيثُ القدسَ إن أنثى استغاثتْ
جيشُ مهزومٍ و نائمْ؟!..

* * * *

تمضي وفاءُ إلى زنابقِها مودِّعةً
وودّعتِ المرايا
حملتْ صهيلَ دمائِها حُمّى تضجُّ بها الحنايا
همستْ وزخّاتُ الدماءِ غزيرةٌ:

مطرُ الشتاءِ يسحُّ أم تبكي السماءُ؟..

هل تقبلينَ دمي

يورِّد نارَ فصلِكِ يا سناءُ؟..

هل توسعينَ العشبَ لي **والماءَ**

والحلمَ المكابرْ ؟..

هل تفتحينَ ليَ النوافذ كي أفتّشَ عن ضفائرِ عِزّةٍ

رقصَتْ على أثوابِ عاشقةٍ

فقصّتْها لكي تبتاعَ خبزاً.. أو رصاصْاً

بعضَ (بارودٍ) يدفِّئُ بردَ خصري

آنَ أخرجُ من تشرنقِ أمةٍ

أغفتْ على الأبوابِ تنتظرُ البدايةَ والنهايةْ؟!..

هي لحظةٌ...لا تتْقنُ الكلماتُ رسمَ مدارِها

والزغرداتُ...

تمرُّ ظهراً بين أشجارِ الدماءِ

إلى مفاتيحِ الخلاصْ.

2 - **كتبوا على شاهدة قبرها:**

لا تغلقوا بين التوهجِ والحرائقِ
جُرحَها،
لا تبحثوا عن ثوبِ عرسٍ
فصّلتهُ لابتسامتِها النحيلةِ..
وهي تمسَحُ عن أصابعِ فجرِها
عسلَ الطفولةِ،
والأساورَ والأراجيحَ التي
كانت تطيرُ بحلمِها..
بين التهجُّدِ وانسكابِ العطرِ في لغةِ الصبايا
لا تغلقوا فجرَ التوهج والحرائقِ جرحَها
هي ما تزالُ تلوِّنُ الأبوابَ والجدرانَ أسئلةً،

وتهطلُ في مدى أحلامِنا
مطراً يؤرِّجُ آية الحناءِ في
عرسِ الضّحايا..

بطاقــة

إلى الراحل الجميل محمد الماغوط

سلميةُ.. رتّبي أشواقَ عينيكِ
وضمّيهِ صباحاً أو أصيلا..
دثّريهِ بحكاياتِ الطفولةْ
وانثري أحلامَهُ الخضراءَ وردًا ونخيلا
واتركيهِ نائماً في هدأةٍ
يهَبُ الأكفانَ حلماً مستحيلا
هو قد عادَ.. اتركيهِ
يُقرِئِ الحاراتِ أسرارَ البراري
ويذرَّ الشّعرَ من كفيهِ

ماءً سلسبيلا

هو قد عاد إلى حضنِكِ وسنانَ جميلا
تركَ الأرصفةَ السمراءَ يكسوها غبارُ الحسراتْ
وصهيلُ الأمنياتْ
وأتى يستقرئُ الجدرانَ أسرارَ الطفولةْ
ويعزي نفسه بالغيمِ يرتاحُ على خدِّ الكرومْ
آه كم كانَتْ عيونُ الخِصبِ في ذاك الزّمانِ المرِّ
رمداءَ بخيلة!..
آه كم جاسَتْ خطاهُ وخطانا في دروبِ التيهِ والترحالِ
والأرضُ مَحيلة!..
لملمي أدمعَكِ الحرّى وهبّي
ودّعيهِ بالحُداءْ
فأبو الشامِ... ربيبُ الحزنِ والأحلامِ
والصوتُ المُرَجّى
لجموعِ الفقراءْ
هوَ إن غاب مُقيمٌ في تقاسيمِ الغناءْ

وهوَ الصوتُ الذي بالشعرِ ضمَّ الكونَ
أرضاً وسماءْ
أتراهُ امتهنَ الحزنَ حياةً
فنأى عنه الفرحْ
أم تراهُ من زوايا غرفةٍ بملايينِ الزوايا
صار نسراً شقّ آفاق الفضاءْ؟!..
إنه الماغوط.. لا اللهفةُ تكفيهِ
ولا هذي الدموعْ
علّمي أطفالَكِ الآتينَ أن الشاعرَ الإنسانَ
رمزٌ لكرومٍ من عبيرٍ وحقولٍ من أغانٍ
وفضاءٍ منْ طيورْ
طرِّزي فوقَ المناديلِ اسمَهُ البريَّ
حرزاً أو تميمةْ
هو نسرٌ كانَ يهوي شامخاً
يهَبُ الآتينَ ناراً وعزيمةْ
إنه الماغوطُ..

غنّي كلما هبّتْ من الغربِ رؤاهْ:
(مفرداً كان صوتُهُ
راحلاً بين الجهاتْ
مفرداً كان موتُهُ
وهو يصبو إلى الحياةْ
كم تغنّى وكم بكى
في أناشيدِ الرعاةْ
مفرداً كان موتُهُ
مثلما كان في السفرْ
كرمةُ الشعرِ أثمرتْ
في الدما يانعَ الثمرْ
لا تخالوا قد انتهى،
هو ما زال في الذِّكرْ
واثقَ الصوتِ هائماً
يرتدي صبوةَ الشجرْ..)

اعتذار إلى أطفال
بيت حانون

في "بيت حانون" القريبةِ
من شرايينِ البراري
قتلوا الفراشاتِ الصغيرةَ
صادروا الأحلامَ في بدءِ النهارْ
سرقوا الطفولةَ من جهاتِ الحبِّ
واغتالوا حكاياتِ الأصابعِ فوقَ جدرانِ الشوارعْ
في بيتِ حانونَ الصغيرةِ مثلَ قبلةِ عاشقٍ
أسرى به عبقُ الصباحِ إلى

ملاقاةِ الحبيبةِ بينَ أجنحةِ القرنفلِ

وهي تزهِرُ في بساتينِ المهودْ

لم يُدركوا أنّ البراءةَ تكسرُ الأغلالَ

تفتَتِحُ الصباحَ برحلةٍ

ما ذاقَ خمرَ كرومِها

إلا الشهيدُ وغيرُ من عشقَ الرحيلَ

إلى فضاءاتِ الشهادةْ..

بكتِ المقاعدُ في المدارسِ

وهيَ تقرأُ في الصباحِ تفقّدَ الأطفالِ

تسألُ عن غيابِ مهنّدٍ وقصيٍّ

والبنتِ الصغيرةِ.. ما اسمُها؟!..

لم تذكرِ الأوراقُ

لكنَّ العصافيرَ الحزينةَ أجهشَتْ بالزقزقاتِ..

تلعثمَتْ: ليلى.. ليا..

ليلى.. هي البنتُ الصغيرةُ والفقيرةُ
والجميلةُ كالأميرةْ
ليلى هي الأحلامُ والقصصُ المخبأةُ الأثيرةْ
هي قطفةُ الحبقِ الندّيّةُ تُشتهى نفحاتُها
ويلفُّها دفءُ النهارِ بأُرجوانِ شموسِهِ
عند الظهيرةْ
هذا الصباحَ تسَرْبلتْ بالضوءِ
وارتحلَتْ إلى وطنٍ جميلٍ دافئٍ
لكنّها...
نسيَتْ تلمُّ رفيفَ ضحكتِها وقدْ
نثرَ الصباحُ ربيعَها ورداً
على خُصَلِ الضَّفيرةْ...
ليلى.. ويذكرُها الجدارُ
بما تقطَّرَ من يديها فوقَ صفحتِهِ الأخيرةْ
ـ نحيا لأجلكِ.. يا فلسطينُ الحبيبةُ

أو.. نموتُ

وسوف نحيا.. سو..

واغتال فاءَ الحلم قناصٌ غريبٌ

أصفرُ النظراتِ لم يعرفْ جنونَ الحرفِ

لم يعِشِ الطفولةَ لم يعانقْ قامةَ الأحلامِ

لم يولدْ على سجادةٍ خضراءَ

من عشبٍ ومن زهَرٍ

وما دخلت مغارتَهُ الأميرةْ..

من ذا أقال الحلمَ عن أجفانِهم؟!..

من ذا تناسلَ حقدُهُ ذاك الصباحَ

فرشّه ناراً على الأبوابِ والشّرفاتِ

واصطادَ الهديلَ الغضَّ

فوق شفاهِ

وأقالَ أعناقَ الحمائمِ

وهيَ تفتتِحُ الصباحَ بقبلتينِ

وتمتطي أحلامَها
شهباً من الآمالِ والضّحكاتِ
تولدُ في عيونِ الأمهاتْ؟!..

* * * *

في بيتِ حانونَ القريبةِ
من شرايين البراري
قتلوا الفراشاتِ الصغيرةَ
صادروا الأفراحَ
في صدرِ النهارِ

* * * *

من بيتِ حانونَ القريبةِ
أيُّها الأطفالُ تنطلقونَ نحوَ فضائِكم
فلتذهبوا مثلَ النسيمِ معطّراً بدمائكمْ
لا تأخذوا معكم أراجيحَ الشجرْ

فلكمْ أراجيحُ الضياءِ بيادرُ الأحلامِ
والعسلُ المصفّى من دموعِ الأمهاتِ الصابراتْ
لا تأخذوا حلوى الغريبِ
إلى صباحاتِ البراءةِ والمدارسْ
لا تَرهَبوا تلك المتاريسَ العصيّةَ
قربَ أبوابِ المساجدِ والكنائسْ
وتقحَّموا برفاتِكُمْ أبوابَها
صلّوا صلاةَ غيابِكُمْ
وتناولوا قدّاسَكمْ خبزَ الصباحِ لفافةً من زعترٍ
ريانةً بعبيرِ زيتِ الكرملِ الظمآنِ
أو سفحِ الجليلْ
لكم السلامُ وسجدةُ الجرحِ الجليلةُ
والدماءُ الراعفةْ
ولكم أناشيدُ الجباهِ النازفةْ
ولكم.. لنا في كل فجرٍ

أن نسلَّ الأغنياتِ الخضرَ

من عمقِ الجراحِ

ونمتطي شهب الضياءِ

إلى تخومِ الأغنياتِ الوارفةْ

ولكم.. لنا..

ألا نهابَ العاصفةْ.

رحيـــــل

إلى مبدع مدن الملح

عبد الرحمن منيف

رحلَ المسافرُ تاركاً مدنَ الملوحةِ
بين أوراقِ الروايةِ والأصابعِ ـ
وانتهى وجعٌ لتولدَ من جذورِ الرملِ
أوجاعٌ جديدةْ..
لا فرق ما بين اغتيالٍ واغتيالْ..
مدنٌ يكوكبها الجمالْ
(مرزوقُ)... وجهٌ من وجوهِ الظامئينَ
إلى الحقيقةِ
يتْركونَ الجسرَ كي يترحّلوا
نحو النهاياتِ الحزينةِ والسعيدةْ

كلُّ النهاياتِ السعيدةِ والحزينةِ
تلتقي في سِدرةِ الأحزانِ،
تسقطُ من حسابِ الوقتِ
حينَ الوقتُ صيّادُ الأمانيِّ الخجولةِ والأغاني..
قارئُ الأسفارِ ربّانُ القصيدةْ.
مدنٌ من الملح استحالت بينَ كفيهِ
حكاياتٍ يزمِّلها التّصحرُ
واحتراقُ الغيمِ في فصلِ الرمادْ..
هو فارسُ الكلماتِ تنهضُ
من حدودِ القلبِ حتى نجمةِ الكلماتِ
في أرضِ السوادْ..
هل كان يملك غيرَ أجنحةٍ من الكلماتِ ـ
تأخذُهُ ليقرأَ سورةَ الإعياءِ
قرب ضفافِ دجلة؟!.
أو أيِّ نهرٍ حالمٍ سرَقَ الغزاةُ ظلالَهُ
لو.. مدَّ ظله؟!..

* * * *

رحلَ "المنيفُ" غداةَ وقتٍ كان ليلكُهُ حزينا
مُذ غادرته الريحُ والأحلامُ
والكتبُ الصديقةْ
لكنهُ لم يهجرِ الحرفَ المضيءَ
وما تناءتْ عن مدى عينيهِ
أطيافُ الحقيقةْ
كانت سماءُ دمشقَ تزهِرُ بالمحبةِ والنقاءْ..
وقوافلُ الكلماتِ والليلُ الأخيرُ،
وفضةُ الذكرى على أمواهِ دجلةَ
تستغيثُ بما تبقَّى في شرايين العروبةِ
من إباءْ.
فمضى "المنيفُ" وفي مدائنِهِ البعيدةِ والقريبةِ
لم يكن غيرُ الدماءِ
ولم يكن في قلبهِ المحزونِ
غيرُ الأصدقاءْ
نثروا حروفَ قلوبِهم حبراً
على ورقِ الوداعْ

وتلمّسوا بين الدروبِ حكايةً تذوي
وما في الوقتِ للظمآنِ والمحزونِ ماءْ..
هو واحدٌ من أسرةِ الصبرِ الكبيرةِ
ترتقي حلُماً
على درجِ الفجيعة والضياعْ
هلْ كان يدركُ أنّ سوسنةً
تجفّفُ حزنَها بالضوءِ
أجملُ من مدائنِ رهبةٍ تزدادُ خوفاً
كلما ركضَتْ لتقبسَ من ضياءِ الشمسِ
بعضاً من شعاعْ
هل كان يدركُ أنه آتٍ إلى زمنٍ
تمزّقَ بين أقدام الرعاعْ؟!..
هل كان يدركُ أنه
ما كانَ يكتُبُ عمرَهُ
بلْ عمرَنا المنفيَّ ما..
بينَ المراسي والشراعْ؟..

اعتـــراف

إلى الطفل علي العراقي الذي

بترت ذراعاه عشية الغزو

لأني اليومَ يائسةٌ ومتعبةٌ

سأعترفُ

بأن الحزنَ لا يكفي

وأن القهرَ لا يكفي

وأعترفُ

بأنَ قصائدَ الشعراءِ ضيقةٌ

إذا رسمتْ رؤى طفلٍ

على جفنيهِ يحيا (جعفرُ الطيارْ)

وقد نُشِرَتْ ذراعاهُ قصائدَ

في ذرا بغدادَ

وهي تمرُّ من نزفٍ إلى نزفِ

ومن حتفٍ إلى حتفِ

فمن ذا قد يعيدُ إليه ضحكتَهُ

ومن ذا يستطيعُ اليوم أن يُعطيه أُنملةً

إذا ما قالَ:

إني أبتغي كفّي؟!...

أحـــــزان

صديقي الشاعرَ المحزونْ
تخطّ الحزنَ لو مرّةْ
وطفْ بالروح في بغدادْ
ففي شرفاتِها الزرقاءْ
على شعرٍ تلاقينا
ذكرنا كربلاءَ جوىً وأغضينا
كأنّ السيفَ كانَ هناكَ منتظراً صهيلَ دمٍ
بأرض اللدِّ والبصرةْ
كأن دمَ (الحسينِ) هناكَ ـ

كان يسيلُ مصطخباً بصدرِ الأرضْ
ذاتَ فداءْ
يضمّ إلى جوارحِهِ
جراحَ (محمّدِ) الدرةْ.

شـــــــوق

أشتاقُ إليكَ خميلةَ وردٍ
أتفتَّحُ بين براعمِها
في فصلِ الحبِّ الأولِ والعشرينْ
وأرددُ نصْفَ قصيدةِ ولهٍ سكنَتْ ذاكرتي
أتقرّى بين قوافيها كلماتِكَ وجهَكَ
لونَ حروفِكَ
آنَ ترفرفُ في أمدائي
تملأُ صدري شغفاً وحنينْ
تغزلُ لي حلماً
يشبهُ وجهَ مدينتِنا في صيفٍ
أتّكئُ عليه طويلاً حين تراودني الأحزانْ..

وأفيء إليه إذا ما مطرٌ عذبٌ
فاجأَ قبلتَنا المسروقةَ في ليلٍ شتويٍّ
صارَ بعيداً عن ذاكرةِ القلبِ الأولى
أذكرُ.. كنا وجهينِ غريبينِ التقيا
في عتمةِ كانونِ الأولِ
أذكرْ.. قصف الرعد وأومضَ برقٌ
وتهاطلَ مطرٌ ليليٌّ
أرسلني نحوك خائفةً كالأطفالْ
أذكرُ...
مالت كلُّ جهاتِ الكونِ إليكْ
وقلبي مالْ
خبّأت بصدرك وجهي..
رأسي..بعضي.. كلّي
كنتَ حنوناً مثلَ غمامةِ صيفٍ
فاسّاقطْتُ رفيفاً منْ.. قُبَلٍ بيضاءْ
وهجعْتُ دهوراً بين يديكْ

أذكرُ.. صار الليلُ نهاراً
يتمطّرُ ولهاً عذباً في عينيكْ
أصنعُ من لألاءِ كواكبِهِ عمراً ورديا
فأخبئُ بين سنابله آياتِ جنوني
ولهي شغفي وردَ حروفي
همسَ عيوني
وأخبئُ بين سنابلِهِ صوتَكَ حين يبوحُ
بنصفِ حنينٍ وسؤالينْ
يا أنت!..
وتشرقُ فيَّ شموسٌ
حين تمسّحُ كفُّك خدي
حين تسافرُ مثلَ النسمةِ فوقَ جبيني
يا أنتَ.. وتولَدُ دنيا من عبقٍ وسْنانْ
حين أرددُّ اسمَكَ همساً
بينَ رفيفِ القلبِ وَ... بيني
فأنا.. لا أدخلُ دائرةً

للوجدِ قبيلَ يبارِكُ قلبي صوتُكْ
لا يصحبني قمرٌ في ليلِ الغربةِ إلا وجهكْ
فامنحني ترتيلةَ وجدٍ في زمنِ الغربةِ هذا
وامنحني بعضَ رضا عينيكَ
فأرجِعُ أنثى من صخبٍ وجنونْ
أو أختصِرُ الكونَ حنينَ امرأةٍ
طلعت من أسرارِ الطينْ
ومضت تتأرّجُ قبّرةً أو نورسةً
أو سربَ "سنونو" يرحلُ نحو الدفءِ المرجوِّ
بصدرك حيناً أو..
تركضُ في زمنٍ آخرَ
هاربةً حتى آخرِ ومضةِ شعرٍ
نحو جنونِ العمرِ الساكنِ
بين سنابلِ روحِكَ وَ..
ذراعيكْ.

فــرح

إذا ما أتيتَ تجيءُ البراري إليّ
ويحنو عليّ الشّجرْ
إذا ما أتيتَ..
يطيّرُني فرحٌ قادمٌ من كروم الطفولةِ
أركضُ جذلى.. أغنّي...
فيرقصُ عمرٌ، يبرعمُ وردٌ
تنامُ السواقي وتصحو على صوتِ غيمٍ تحدّرَ
عشباً نديّاً وماءْ
تمرّ بقلبي فصولُ الغيابِ كتابَ حنينٍ أخيرٍ
ودفترَ عشقٍ طوينا على شوقِنا ضفتيهِ
فأينعَ في الوردِ شوقُ الدماءْ

إذا ما أتيتَ
تحولتُ عشباً، وقمحاً
وغيماً يبلسِمُ عمري
برحمة ماءْ..

حكاية وردة

يأتي الصباحُ.. أهزُّ أغصاني على
صدرِ الرياحْ
و(أطيرُ من فرحٍ) ووجهُكَ قادمٌ
ويداكَ متعبتانِ من وجعِ الجراحْ
وتشدُّني آياتُ وجهِكَ وهو يقترف التولّهَ
لو ينامُ ويستفيقُ على حكايةِ وردةٍ
أرخَت جداولَ عطرِها
وتأودّتْ في شرفةٍ للقلبِ
آن دعتكَ ذات غوايةٍ

كي ترتمي في فجرها
متبعثراً بين القرنفل والأقاحْ
صدئت أساورُ وحدتي ، ضاقتْ بأوردتي
وذا قلبي يفيءُ إليك محترقاً
يلملمُ ما تبقى من حنين العاشقينْ
ويعودُ نحو حقائبي
طيراً نحيلاً شاحباً
ضاوي الجناحْ.

أضغاث أوراق

ورحلتَ في غسقٍ من الأحلامِ
لم ترغبْ بعمرٍ آخر وعلامَ ترغبُ
والحياة قسَتْ عليك..
من لحظةِ الخلقِ التي أُجْبِرْتَها
حتى النهاياتِ الأخيرة..
وكتبْتَ أغنيةَ الوداعِ على يديكْ..
فحنَتْ ضفائرُها أسىً
واسّاقطَتْ شهُباً عليكْ..
في قرية تلدُ الغبارَ على المَدى

رتّبتَ حلمَكَ وابتكرْتَ نجومَهُ
قبضَتْ يمينُك موسمَ الفرحِ المرجّى
في ليالي صيفِها الهادي القديمْ
ورجوتَهُ لو مرّةً يأتي إليكْ
لم يأتِ..
والسّحبُ العصيّةُ أسرفَتْ ببروقِها
ورمت بأمطارِ الطفولةِ فوقَ وجهِك
مرّة أو.. مرّتينِ
فجُنَّ في صدري كلامٌ أو نشيدْ
كم مرةٍ حاولْتُ أرحلُ نحوَ عصرِكَ وانثنيتُ
كانت عيونُ المتعبينَ تردُّني وتقولُ لي :
مرٌّ هو الزمنُ الجديدْ
لّمي مرايا الذكرياتِ فقدْ مضَتْ
وتكسَّرَتْ فوقَ الضّفافِ المتعباتِ
رؤى الطفولةِ واليفاعةِ في القرى العطشى

وأدركُ كم نأيتُ..

كم مرةٍ صلبوا حنيني فوق أوردةِ المساءِ

وكم هممتُ.. وما أتيتُ

وخنقتُ في دميَ العطورَ ونشوةَ الماضي...

تعاويذَ الطفولةِ وهي تورقُ في يديّ رسالةً أولى

وبوحاً كان لي عطراً تخبئُهُ تراتيلُ الوريدْ

يا أيّها المخبوءُ بينَ دفاتري عمراً

تحاصِرُه المواجعُ والقيودْ

ما همَّ أنْ يمضي إلى جوفِ الثرى طينٌ

ويبقى في الرؤى صوتٌ ووجهٌ

يشرقانِ على تفاصيلِ النبوءةِ حين يزدهرُ المدى

بجراحِ صدرِكَ

والمدى قاسٍ عنيدْ..

كلماتُك الخضراءُ ما زالت تزورُ وسائدي ليلاً

وتأخذُني إلى فِردَوسِها

حتّى إذا جاءَ الصباحُ تُعيدُني جسداً
تنازَعَهُ الهواجسُ والمتاعبُ.. آهِ
كم واريتُ بينَ قصائدي الأولى حنانَكَ
واختزلْتُ مياهَهُ
نهراً صغيراً من جنونٍ
كان يأسرُني
فأركضُ في الجهاتِ الستِّ
أبحثُ عن طفولتيَ البعيدةْ..
فأرى بأفقِ الذكرياتِ صغيرةً وضفيرةً
وقصاصةً منسيةً بينَ الأصابعِ
يرتمي وشمٌ على أطرافِها
رمزَ اعترافٍ بالمودةِ والحنينْ..
أوَ كنت تدرك قوَّة الكلمات وهي تهزّ قلباً
لم يزلْ بندى البراءةِ يغسلُ الأحلامَ
كي تخضرَّ أكثرْ؟!..

وكأنَّ غيماً ينحني وعبيرَ فردوسٍ
يهبُّ على مواقيتِ اللقاءِ المرتدي
ثوبَ الطفولةِ والأماني
وازدحامَ الصدرِ بالأشواقِ
في زمنٍ ربيعيٍ جديدْ
من منكمُ يا أيها المتدثَّرونَ بكوكبٍ متحضرٍ
تتآكلونَ على الأرائكِ
يحتوي أحلامَهُ
ويعيدُ تشكيلَ الطفولةِ بابتساماتِ القرنفُلِ
حين يستحيي القرنفلُ مرةً
فيضوعُ عطراً في مدارِ الرحمةِ الأولى
ويهرب من يديّ إلى يديه؟.
من منكم لا ينحني عمراً على بابِ الزمانِ
ليرتجي قمراً وأغنيةً
وبيدرَ أمنياتٍ شاحبةْ؟!..

هذي دماهُ تزورُكُمْ عتباً جميلاً
يستفيقُ على غبارِ وجوهِكِمْ مرثيةً
وتسافرونَ... كأنَّ موتاً لم يكُنْ!..
وكأنّه ما كان فيكم نجمةَ الصبحِ التي
تهدي القطاةَ
إلى مداراتِ النخيلْ
وكأنّه ما كانَ روحَ قصيدةٍ خضراءَ
تركُضُ في الفيافي والحقولْ
وكأنّه..
وكأنّكم
وكأنني
أضغاثُ أوراقٍ
ترودُ
المستحيلْ

طلقة قادمة

أجيءُ إليكَ
أطوِّفُ بينَ ذراعيكَ مثلَ قطاةٍ
غزاها الشتاءُ
فهاجَرَتِ الطيرُ نحوَ الجنوبْ
وحين يلفُّ جناحيَّ عشبُ الغناءِ
أغلُّ بصدرِكَ
حتى أوانِ الربيعِ الجديدْ..
أنا يا حبيبُ انتظارٌ تشظّى على شفةِ الغيمِ
أقواسَ وردٍ تلونُّها الشمسُ بالأرجوانْ
فكيفَ أهدْهدُ بالدفءِ قلبي
وبردُ الغزاةِ مديدٌ، وحرُّ الغزاةِ مديدٌ مديدْ.

وبغدادُ مني بمرمى حنينٍ وضوعِ قصيدةْ؟!..
أعزّي أصابعَ كفيَّ بالأمنياتْ
يقولون: ما عاد ثمّ أصابعُ
تنثرُ فوق الأصابعِ ضوءاً
وبعضَ فراشٍ طروبٍ
وتكتُبُ ورداً على ضفّةِ الروحِ
كلّ لقاءْ..
هي الريحُ والبردُ في خافقي
فاحتملْني..
أنا لم أعدْ نجمةً في مرايا المساءِ
ولا وردةً في حقولِ الصباحْ
لقد باغتتني السنون العجافُ
فما ثَـمَّ في الوجهِ غيرُ فمٍ..
لا يجيدُ الكلامَ الجميلَ
وعينينِ مسْكونتَينِ
بما يشبهُ الرُّعبَ
منْ طلقةٍ قادمةْ..

بين نار ولهيبين

كلما ماستْ على القلبِ قصيدةْ
قالَ نبضُ القلبِ: أهلا
وتهادَتْ فيه ألوانُ القوافي
فتمادى
وتجلّى في عميقِ الروح وردُ الشعرِ
نسريناً وفلاّ
قلت يا ذا القلبُ: مهلا
فربيعُ العمرِ يا عمري تولّى
وأنا أشبِهُ طيراً بين نارٍ ولهيبينِ
من الوجدِ تقلّى.

أنثـــــى

أنثى تبوحُ على سريرِ مشاعري
ترنو إليّ بحسرةٍ وتقول :
ضيَّعتِ البداية والنهايةَ واحترقتِ تعفّفاً
ضمّي جراحكِ..صابري..
أهملْتِني زمن الصبابةِ والهوى
بعثرتني مثلَ الحروفِ
على بياضِ دفاتري
ودفنتِني بين الرّكامِ مواسماً
فلئن نسلت من الركامِ تلهفي
ومجامري

لا تعتبي.. فأنا الأسيرةُ عمرَها
لكنّها.. ضاقت بقيد الآسرِ..
حتّام تندَلِعُ الحرائقُ في دماكِ
وما عرفْتِ لهيبَها
حتّامَ تغتالين أحلامَ العيونِ
ورعشةَ الكفّينِ
ترتعدينَ من صوتِ الحقيقةِ
والرّواءِ الباهرِ؟!..
أنثى تنام على سريرِ مشاعري..
ماذا أقولُ لهذه الأنثى الصغيرةِ
وهيَ ترفضُ كلَّ ما علمّتُها
فتقولُ لي:
صوغي قصيدتَك الأخيرةَ وارحلي
وتسللي كفراشةٍ بين السطورِ الشاحبةْ
نامي على أهدابِ نونٍ طيبةْ
وضعي النقاطَ على الحروفِ الغائبةْ

ما أنت إلا ظلُّ أنثى ساغبةْ..
لا تدخلي عبثَ القراءةِ
والفضاءاتِ الخضيلةْ
إن القراءةَ حين تدعوكِ الغيومُ لعشبِها
ستثيرُ حتى الموتِ ثائرةَ القبيلةْ.
أنثى - يقول الهائمونَ -
تفتَّحَت أزهارُ صبوتِها على جمرِ الألمْ؟!..
ماذا أقولُ لهذه الأنثى الغريرةِ
وهيَ ترفضُ مذهبي في الحبِّ
ترميني إلى بحرِالندمْ..
كذَبوا عليَّ وعلّموني
كيفَ أرفضُ ما يحاولُهُ الجسدْ
زعموا حرائقَهُ المقدسّةَ العذوبةِ
ليس تعدو أن تكون سوى زبدْ
زعموا....
ومرَّ العمرُ لم أعرِفْ رغابا

أغلقْتُ أبوابَ الغوايةِ كلّها باباً فبابا
ونسيْتُ بابَ الشعرِ مفتوحاً
على تفعيلةٍ من نبضتينِ
ونظرةٍ، من نرجسِ الكلماتِ
تنسابُ انسيابا..
ناورتُ أنثايَ العصيّةَ
بالقصائدِ والحكاياتِ المنمّقةِ النديّةْ
وصحبتُها حينَ ارتحلتُ مع الحروفِ
إلى المداراتِ القصيّةْ
شهِدَتْ معي كلَّ الحواراتِ العقيمةِ
والحروبَ الجاهليّةْ
ورأيتُها بالأمسِ عاتبةً حزينةْ
خرجَت تطوّفُ في ثيابي
بين أحياءِ المدينةْ
ذبلت نضارةُ عمرِها

قبلَ اكتشافِ السرِّ أو..
إدراكِ طقسِ الدعوةِ الأولى إلى
حمّى التورّدِ وانعتاقِ الجلدِ
والجسدِ المسوّر بالوصايةِ
من حنانِ الأرضِ
حتى رعشةِ الخلقِ العصيّةِ
بين ذرّات الترابِ
وبينَ حباتِ المطـرْ.
أنثايَ نامت ألفَ عصرٍ من جليدٍ ـ
ثم جاءتني معاتبةً خجولة :
أينَ الأساورُ في يديَّ وأين "أطواقُ" الذهبْ؟..
أين الشفيفُ من الملابسِ فوقَ قدّي
يحتويه برقةٍ
أينَ الجواهرُ واللآلئ والقصبْ.
بل أين أهدابُ الحبيبِ...
تلمُّ عن عمري تفاصيل التعبْ؟!..

ماذا أقولُ لطفلةٍ في أضلعي
موءودةً.. لمّا تزلْ
بين الفصول الباردةْ؟..
ماذا أقول لطفلةٍ ظمأى
إلى ضوء البروقِ
ورعشةِ المطر الربيعيِّ المسافر
في عروقِ الأرضِ
زيتوناً وقمحاً والمواسمُ واعدة..
منذا يعيد ليَ اليفاعةَ والصبابةَ والغواية
منذا يعيدُ إلى دمي أصداءَهُ
ويصوغُ من عمري القديمِ بنفسجاً
ويردُّني مجنونةً بالعشقِ
تركضُ في براري الشوقِ ولهى
إنّ في قلبي
أيائلَ شاردةْ؟..

عبــور

حين عبرْتَ اللحظةَ أورقَ فيها شجرٌ
وهمى مطرُ
واسّاقط زهرُ الشوقِ منَ العينينِ المتعبتينْ
حين عبرْتَ اللحظةَ
كان سعيداً قلبي الضائعُ
وهو يرفرفُ مثلَ الطيرِ على كتفيكْ
يرشفُ دفءَ اللحظةِ ثم يؤوبُ بألف جناحٍ
كي يتناثر ولهاً عذباً في عينيكْ
حين عبرْتَ اللحظةَ

رقصَتْ كلُّ طيورِ الشَّوقِ
على شفتيَّ
وطارت جذلى تنقرُ زهرَ البوحِ
على شفتيكْ..

غنــاء

-1-

سأغنّي..

غيرَ أني.. كلّما غنيتُ فاجأتُ غنائي

بدموعٍ باردةْ ..

وانثنت عني حروفي كظباءٍ شاردةْ

فلماذا أُتعِبُ الصوتَ وقلبي

ورؤانا واحدة؟!!.....

ولماذا أغْسلُ الروحَ من اليأسِ

وروحي في مدارِ اليأسِ

تهوي صاعدةْ ؟..

- 2 -

ها أنا أرفعُ صوتي غابةً حيناً

وفي حينٍ سحابا

وأغني.. بين أجراسِ الدوالي

أغزِلُ الأحلامَ من نورِ الصباحاتِ

وأطيافِ التمنّي

وأغني..

لبلادٍ علّمتْني

كيف يخضَّرُ الغناءُ

لترابٍ...

نصفُهُ عطرٌ ونصفٌ كبرياءُ

غير أني

كلّما ألقيتُ ظلّي فوق أرضٍ

أغرقَتْ ظلّي الدماءُ..

غربـــة

إلى روح الصديق

خليل جاسم الحميدي

تأخَّرْتُ ـ أدركُ ـ عن موسمِ الدمعِ
صارَ الصباحُ مساءً
ونامَتْ عيونُ الدوالي
أراحَ الفراتُ مواويلَهُ في المساءِ الأخيرِ
على جذعِ صفصافةٍ آسيةْ
وكان "خليلُ" يعانق آخرَ حلمٍ جميلٍ
ويمضي إلى غربةٍ ثانيةْ.

دمشق

هي الريحُ تركضُ خلفَ خطايَ
وأركضُ خلفَ خطاها
كأنّا صديقانِ في وحشةِ الدّرْبِ ضلا وتاها
كأنك لم تأتِ كيما..
تخاصرَ في الأمسياتِ صِباها
كبرْنا كثيراً ..
فكيف تظلّ بقلبي وقلبِك هذي المدينةُ
وردةَ عمرٍ رخيٍّ
ترشُّ على كلّ وجهٍ أليفٍ شذاها؟!....

ذكرتُكَ هذا الصباحَ..
وواجَهْتُ حزني قديماً جديداً..
فأوصدت آهاً
يبرعمُها في مهبّ الغيوم دمي
وأطلقْتُ من شرفةِ الرّوحِ آهاً.. وآها.
وكانت دمشـقُ تفيضُ بقلبي
ربيعاً وزهراً وغيثاً
يقبّلُ منذ الصباحِ رباها..

نسيان

نسيتُك.. أعرِفُ..
مرّت دهورٌ على لحظةِ البوحِ
آنَ التقينا على مبتدى غابةٍ منْ قرنفلْ
وكانت عيونُ الصّباحِ تنمنِمُ أفراحَها
وردةً.. وردةً
والظلالُ تُعرِّشُ فوقَ جهاتِ المدينةِ
غيمةَ صيفٍ
تمنَّتْ شتاءً يعودُ لترسمَ أقواسَ وردٍ وثلجٍ
فمرّ شتاءٌ وعاد شتاءْ
ولم يأتِ وجهُك نحوي
وما مرّ برقُ بريدٍ على بابِ بيتي

وما زارني طيفُ بشرى
يُطوِّفُ فوق نعاسِ المرايا
ويغري المساءْ
لهذا.. نسيتُكْ..

- وعـــد -

ستراني..

يا حبيبي ستراني..

كلّما شوقٌ براني

وتراني..

بين رفّات المرايا

وارتعاشاتِ الثّواني

كلّ شوقٍ.. ستراني

كل وجدٍ.. كل صحوٍ..ستراني

كلّ ليلٍ.. كلّ حلمٍ .. كل فجرٍ..

كلّ وعدٍ ... كل وردٍ..

ستراني

كلّ غيم..

كلّ برق..

كلّ رعد.. كلّ غيثٍ..

كلّ ثلج

كلّ عشب..

كلّ زهر.. كلّ لوز..

كلّ عطر..

كلّ خوف..

كلّ أمنٍ..

ستراني....

سـَ......

تـَ......

را.......

نـ......

.ي.....

....

ورقة منسية

مجنونةً ما زلتُ أقتَرِفُ احتراقَ الوردِ
في أصصِ الرمادِ وأستغيثُ
بكلّ ماطرةٍ تسافرُ في سماءِ الصّيفِ
نحو ترابِ قريتِنا
فأمضي نحو ساقية تعرَّتْ من عبيرِ العشبِ
في زمنٍ قديمٍ ضاعَ منْ أوراقِ عمري
أوَ أقرأُ الصفصافَ يذوي في سنيِّ القحطِ
أمْ أرنو إلى زيتونةٍ
راحَتْ تمدّ جذورَها في كلّ منعطفٍ

لترشفَ من جذورِ الصخرِ نوراً
قد يضيءُ معابرَ الفرسانِ إن عادوا
وعادت مع خيولِهمُ سنوُّ الخصبِ
والأحلامِ والنخوةْ؟!...
يدقّ نوافذَ التذكارِ وجهُ أبي
يسائلُني عن الأفراحِ في ساحاتِ قريتِنا
عنِ الأشجارِ باسقةً
عن الأطفالِ والجيرانِ والأصحابِ
كيفَ همُ؟
أصبُّ مواجعي الستينَ فوقَ حريقِ لهفتِهِ
وأركضُ في جهاتِ الصوتِ مبتعداً
أيااااااااااااااااااا أبتِ..
ويوقِظُني هزيمُ الرعدِ
هل جاءَ الشتاءُ قُبيل موعدِه؟!..

وأقسمُ.. إنّ كفّاً من حنانٍ لامستْ وجهي

وأنّ هسيسَ مسبحةٍ سرى قربي

فراودَني جنونُ طفولتي الأولى

ورائحةٌ لعطرٍ كنتُ أعشقُه

وفي أذنيَّ رجعُ أذانْ

أمدُّ الحلمَ بين النوم والصّحوِ

وأغلقُ كلّ نافذةٍ لغيرِ طفولةٍ جذلى

وينأى وجهُ من أهوى

وتنأى عن حدودِ دمي

مواجعُ طفلةٍ كانَتْ تسارِرُني

وترحلُ كلَّ يومٍ نحوَ آفاقٍ

تَمَطّرَ غيمُها شوقاً وأحلاماً

تصوغُ لها جنونَ العمرِ قافيةً..

فينهلُّ المدى شعراً

ينامُ على ضفافِ القلبِ
تسمَقُ في دمي الأشجارُ والكلماتُ
والأزهارْ...
ووجهُ أبي

2008م

آخـر البـوح

قرأتُ مرايا اغترابي صباحاً..
وعندَ المساءِ
توشّحتُ بالليلِ والصبرِ..
صار دمي قهوةً
وصارتْ عظامي بنفسجَ حزنٍ قديمْ
فأشرعْتُ بابَ الصباحِ لأجنحةِ الوردِ
والقبّراتِ التي رقصتْ
في فضاءِ القصيدةْ
وألقتْ مواويلَها في سريرِ الطفولةِ عمراً
تخضّبَ بالأغنياتِ وموّالِ راعٍ وحيدٍ

يعلّق حزنَ البراري على رملِ حزني
يصلّي صباحَ مساءَ
لعينَي غزالتِهِ الشاردةْ
ووحدي رحلْتُ إلى غابةٍ من حروفٍ
فماسَت بصدري غمامةُ وجدٍ قديمٍ
وصارَ دمي قهوةً
وعظامي بنفسجَ حزنٍ جديدٍ.. جديدْ
وصلّيت عمراً
لتورقَ في الصدرِ أغنيّةٌ من عبيرٍ.. فلمّا...
وها أنتَ تأتي إليَّ رفيفاً حنوناً
يعرّش فوقَ ظلالِ المرايا
يجوبُ ضفافَ البراري البعيدةْ..
يذرُّ شذى أغنياتٍ
شدَتْها صغارُ العصافيرِ
ببيضِ مناقيرِها زقزقاتٍ ونشوهْ

فيا أيّها المُستبيحُ أناشيدَ عمري القديمِ

لماذا أتيتَ غداةَ انكسارِ الوعودِ

وموتِ الأناشيدِ فوق شفاهِ النساءِ الحزيناتِ

حتى الفجيعةِ

يومَ يُرخصنَ للحزنِ أكبادَهنَّ

ويرْحلْنَ نحو سرابِ الحكاياتِ...

كنا.. وكانوا... و.. كانَ

وكانت بثينةُ تعشقُ حتى التهجّدِ

شعرَ جميلٍ

ولكنها لم تغادرْ تخومَ التمني..

فيا ليت أنّي

حظيتُ ببعضِ الأماني

ويا ليتَ أنّي

رَضِيتُ قيودَ القبيلةْ

وأغمدْتُ جرحي بليلِ البراري

شهدْتُ احتضارَ القصيدةِ
بين يديَّ وكنتُ القتيلةْ
ولكنني في الربيعِ الجديدِ
نهضْتُ من الجرحِ أكثرَ شوقاً
فقل لي : لماذا أتيتَ
غداةَ انكسارِ الوعودِ
وموتِ الخميلةْ؟!..

نهايةُ الحكاية

ماعادَ ثَمَّةَ منْ ظلالٍ
كي تفيءَ الأغنياتُ إلى مرافئِها القديمةِ
ثم توغلُ في العبيرْ..
ما عادَ ثمّةَ من أغانٍ وارفاتِ الضوءِ
تشعلُ ظلمةَ الليلِ القديمةَ
بالمشاعرِ والحبورْ.
هي ذي الرياحُ الهوجُ تعبثُ بالجهاتِ
وبالمصيرْ..
فخذي نهاياتِ القصيدةِ وارحلي
وتأمّلي الكلماتِ يلفحُها الهجيرْ

وبراعمُ الأحلامِ ماتَتْ ذاتَ صيفٍ مُسرفٍ بلهيبِهِ..
وتناثرَتْ بين الدروبِ كما تناثرَ في المدى
ترجيعُ صوتي يومَ أسرفَ بالغناءِ..
ويومَ حاصرَ أغنياتي الزّمهريرْ..
أين القوافي حين أرجوها تجيءُ نديةً خضراءَ
وارفةَ العذوبةِ والعبيرْ.
أوْ حين يغدو القلب طفلاً راكضاً
بين البراري..في حبورْ.
بل أين حبرُ القلبِ أرشفُ عطرَهُ
فترفُّ في صدري فراشاتٌ..
ويستبقُ الندى أحلامَهُ
لينامَ في قلبي الصغيرْ.
هرَبَتْ حروفي نحوَ غابرِ حزنِها
ونأتْ شياطينُ القصيدةِ عن يراعي
فهي نزفٌ أو بكاءٌ أو.. صريرْ

لا فرقَ.. إني سوف أكتبُ

ما تبقّى في جذوري من حنينْ..

وأهدهدُ الكلماتِ حتى تنطوي خجَلاً

وتغفو.. ثم.. تغفو..

أو.. تعودُ إليّ يانعةَ الغصونْ

هي واحةُ الشعراءِ والعشاقِ.. قالوا..

ثمّ أدركَهُمْ نداءٌ من بعيدٍ

سافروا.. أو سُفِّروا

وأنا غدوتُ وحيدةً..

لا وجهَ لي..

لا صوتَ لي

لا أغنياتٍ هارباتٌ من جنونِ القلب

في صيفٍ بعيدٍ أو قريبْ..

لا شوقَ يدفعُني لأَخرُجَ من دوائرِ

وحدتي وتغرّبي

مرَّ الزمانُ بنا ..
مرَرْنا بالزمانِ ولم نعدْ..
فلنبقَ خارجَهُ
ونمضِ دونما صخبٍ
لنذروَ ما تناثرَ من بقايا عمرِنا
بين الوجوهِ قصيدةً أولى
وأغنيةً أخيرةْ.

في ليلة عيد الحب

في ليلة عيد الحبِّ الألف وبضع سنينْ ؛
أكثر بقليل من هذا أو..
أتذكر أيامَ الحربِ المعلنةِ على فقراءِ الأرضِ..
أرتِّبُ أحزانَ العشبِ الأطفالِ الأشجارِ الأزهارْ،
وأشكّل منها حلماً ورديا
مكتوباً بأصابع حبي الأزلي
لهذا الوطن المتربعُ
عرشَ قلوب الشرفاءِ
المزروعينَ بأرضٍ
تتمادى في صبوتها..

للعرق المالح تذرفه كفّا فلاحٍ
ما زال يردد موال الفجرالقادمْ
لزنود العمال المتجهين إلى ساحات العمل
وزادُهم الإخلاصْ
لنضارة وجهٍ
لا يعرف إلا لونَ الشفق ورائحة الأزهارْ،
لدعاءِ امرأةٍ للولدِ الذاهبِ نحو المستقبلِ
بالتوفيق وبالأفراح..
في ليلة عيد الحب العاشر..والـ..
من هذا القرن الحامل ألغامَ الموتْ
أستدعي بعضَ شجوني،
أقرأ عاماً من أعوام العمر
تدلى مثل سياطٍ
فوق ظهور المضطهدين المظلومين
بأرض الأجداد جنوبَ القلبِ قليلاً
وشمالَ الروح قليلاً،
أستمطرمن أشواق القلب قصيدة عشق

ما زالت تتكوكبُ بين ضلوعي ،
لم يبقَ سواها..
هذي الضائعةُ على شرفات الأشلاءِ
وأنهار الحزن العربي ،
أسائل بغداد النازفة تراثاً
من مجدٍ ونعيمٍ عن تاريخ كان
وعن تاريخ سيكونْ ،
أستقرئ في عينيها وجعاً
لا يعدله إلا الوجعُ اليوميُّ
على أرض فلسطين
وفوق قراها ومدائنها
المزروعة قتلاً ودماراً ودماءْ..
في ليلة عيد الحب العاشر..والـ..
أنسجُ حلماً ممتداً
ما بين جذور الصخرِ وبين جذورِ الماءْ ،
أسقي حلمي هذا غيمَ رجاءٍ أبيض.. أبيضَ
حتى إيراقِ الروح العطشى للكلماتِ الخضراءْ..

أزرعُ شجرَ الأملِ
على هامات الوطنِ الشماءْ، وألوّنها
ببراءة طفلٍ
جاءَ وطوّف في ليلةِ حزنٍ عربيٍّ
بين الأنقاضِ فخبّأ نصفَ سنابلَ عينيهِ
دموعاً تتوغلُ في القلبِ
وأخرى تهطل فوق الخدّ اليابس ألماً..
هذي كتبٌ ودفاترُ..
أقلامٌ كانت لأخيه محمد..
هذي دميةُ ليلى..
وحذاءُ أبيهِ وحيداً يتمشَّى بين رصيفِ الحلمِ
ومقبرةِ الأشلاءْ..
هل هذي غزة؟!..
يسأل حين يلوذُ بظلِّ جدارٍ كانْ..
يتذكَّرُ..
هذي لوحاتُ "أميمةَ "

ما زالتْ تنزفُ ألواناً
فوق بقايا منضدةٍ كا...نت منضدةً
قبل أسابيعَ قليلة ؛
في لوحاتِ أميمةَ...
تتآلفُ نظراتُ الشهداءْ..
حنظلةُ الناجي يشبهُ حدّ الطعنةِ
شهداءَ الأمسِ بغزة
ينتظرون لقاءً مع إخوتهم أو مع آباء
ما زالَتْ بعضُ ملامحِهم
في صورِ الأهلِ الشاحبةِ
على الجدرانْ..
يتذكّرُ..
كانت أمي تستبقُ الفجر وتصحو..
لتعدّ الشايَ لنا ولفافاتِ الزعترْ..
وأميمةُ تضحكُ جذلى
وهي ترتبُ زقزقة عصافيرِ الشرفةِ
في أعياد الحبِّ اليومية..

يتذكر..
تمتزجُ البسماتُ بطعمِ الدمعِ المالح..
لا بيتَ لنا..
لا أمّ تكوكبُ بسمتَها دعواتِ رضا..
لا أختَ تعانقُ ما تكتشفُ جديداً
من أسرارِ نجومِ الليلْ..
في ليلة عيد الحلم العاشر..والـ
أجنّ حنيناً
لبيوت دمشقَ العربيةِ
تفتح للأضيافِ الأبوابْ،
لحماة يرشرشُ عاصيها
عبقَ الأطيابْ،
لنواعيرَ تزغردُ مرحاً
وتناجي أفئدةَ الغيّاب..
في ليلة رأس الحلم العاشرِ والخمسينْ..
أهديكم نصف ترانيمي
وأخبئُ نصفاً للأحبابْ،

من منكم يسمعُ في هذي الليلةِ صوتي
يرحلُ بين جهاتِ الشوقِ الأولِ والثاني
والثالث والـ..
يرجو
أن يغمر هذا الكون سلام..
فرحٌ وسلامٌ..
فرحٌ وسلامْ.

ـ لن أنسى ـ

أتحرّرُ منك..
كلماتُك أضحَتْ قاتمةً
تشعلُ قلبي أمطاراً من حزنٍ ورمادْ..
أتحرّر منك..
لكني أبداً لن أنسى
كيف جعلْتَ الكونَ يدورْ
ونثرتَ على شرفات القلبِ
ملايين الأورادْ..

- روح -

هي روحُ شاعرةٍ..
أراها في مرايا الشوقِ
تسرف بالكلام
وأرى على شباكها ورداً ذوى
ورسالةً لّما تزل عبقية الكلماتِ
عطّرها الندى والبيلسانْ
وأكاد أهتف مثلما فيروز يوماً :
سائليني.. سائليني يا شآم
كيف غار الورد
واعتل الخزامْ؟!..

لو ..

لو أنني أسطيع أن أطوي السنين
لأعودَ نحو كروم ماضيَّ القديم
أعانقُ الأحلام حيناً..
أو تعانقُني الظنونْ..
وأصوغُ مع فيروز أغنية الصباحِ ..
وفي المساءِ أقبّل الناي التي "جبران" رتلها حروفاً..
"فالغنـا سـرّ الوجود..
وأنين الناي يبقى بعد أن يفنى الوجود"
لو أنني أسطيعُ أركضُ في المعابرِ والكرومْ
لو أنني..
لكنني ما عدتُ أركضُ..

غير أني إن فعلتُ ..
تصير أوراقِي دروباً أو معابرْ
ويصيرُ قلبي كالمحابرِ كلّما رشفَتْ ندى
ألقتْ سلافَ حروفِها الجذلى على
ولَهِ الدفاترْ.

ـ اعتراف أخيرـ

أعترف الآنَ بأني متعبةٌ من زمنٍ..

لا يقرأ رؤياه العشاق

وأنا متعبة من زمنٍ

يتساوى فيه الصادقُ والأفّاق.

لكن.. ما أكثر أن يتناءى

فيه العشاق.

الفهرس

كلمات 5
احتمـالاتُ الجنــون..... 9
صمود غزة..... 16
قــانــا..... 20
سلامٌ على..... 22
عودة حنظلة..... 23
الشاعر..... 27
من أوراق الرحيل..... 29
في حضرة رحيله..... 34
جنـــيــن..... 40
مدارات الشهادة والضياء..... 47
فوق سرير الحزن..... 53
إيقـاعـات..... 60
فاتحة للشعر أو لليأس..... 65
وأنا أحاولُ نارَها..... 68
في حضــرة موتك.. حيّاً..... 76
سوى السيف..... 85

أحزان سفانة الطائية 90
هذا المساء.. 96
رسالة طفلة عربية 99
يوميات طفل 101
الزنبقة الأولى 106
بطاقــة 113
اعتذار إلى أطفال بيت حانون 117
رحيـــل 124
اعتــراف 128
أحـــزان 130
شـــوق 132
فــرح 136
حكاية وردة 138
أضغاث أوراق 140
طلقة قادمة 146
بين نار ولهيبين 148
أنثـــى 149
عبــور 155
غنــاء 157
غربــة 159
دمشق 160
نسيان 162
- وعـد - 164

ورقة منسية.....166
آخر البوح.....170
نهايةُ الحكاية.....174
في ليلة عيد الحب.....178
ـ لن أنسى ـ 185
ـ روح ـ.....186
لو 187
ـ اعتراف أخير ـ.....189